روائع القصص البوليسية

الميت الحي

هتشكوك

مكتبة معروف

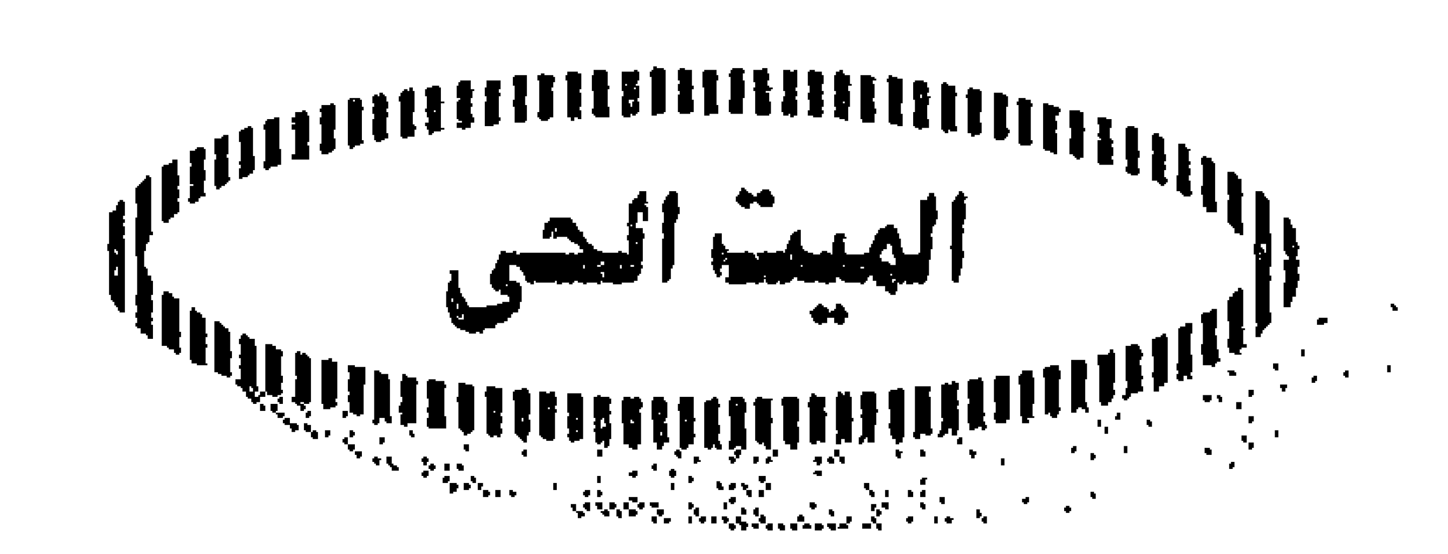
روائع القصص البوليسية

الميت الحى

محمد عبد المنعم جلال



الإسكندرية ،٤٨١٠٨٢٨٠ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القـــاهرة ،٢٦١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية



بعد أن أخرج هارى جوردون سيارته من الموقف أضاء نور الكشافين الأماميين ، ثم أنطلق فى الطريق الطويل المؤدى إلى البيت كانت السهرة قد امتدت إلى وقت متأخر من الليل على غير ما كان يتوقع هو وزوجته ، وراح الكرى يداعب عينى لويز وهى جالسة على المقعد بجواره ، وامتد الطريق فجأة محاذيا للنهر فى شريط كبير من الضباب وضغط هارى على الفرامل وهو يسب ويلعن .

وسألته زوجته وهى تصحو من غفوتها :

– ما الخبر ؟ لماذا أبطأت ؟.

– قليل من الضباب فلا تقلقى .. هـ مجرد احتياط

– قلت لك إنه كان لابد أن نعود قبل ذلك ولكنك أصررت على البقاء لتناول كأس أخرى .

– عودى إلى النوم ، لن نلبث أن نصل إلى البيت ..

سكتت ، ونظر هارى إليها من جانب عينه ، كانت متكورة فى مقعدها وشعرها الأشقر الطويل ينساب فوق إحدي عينيها ، كان الناظر إليها يكاد

يحسبها طفلة صغيرة عائدة من إحدى حفلات أعياد الميلاد ، وقد اتفق له أحيانا ، خلال السنوات الست الماضية أن ندم لأنه تزوجها ولكنه حدث نفسه قائلا بأنه لا يحس بأى ندم على ذلك فى تلك الليلة بالذات .

وعاد فأولى اهتمامه إلى الطريق الملبد بالضباب بعد لحظة واحدة من فوات الأوان ، فقد كانت العربة مندفعة بكل سرعتها نحو الحاجز الحديدى للنهر .

وأدار عجلة القيادة فى حركة يائسة فى حين تزحلقت عجلات السيارة تحته ، ودوى صوت هائل ثم اندلع لهب كبير لم يعد يعى بعده شيئا .

وعندما استرد وعيه خيل إليه أنه موجود فى واحة استوائية لا يسمع فيها غير حفيف أثواب بيضاء ورنين أجراس بعيدة ، وبدا له كأنه فى مستشفى . .

– هارى !..

وأراد أن يدير رأسه ولكن الألم حال بينه وبين ذلك الألم والضمادات .

– أهذا أنت ياليستر ؟.

انحنى ليسترشو فوق الفراش وقال :

– الحمد لله أنك على قيد الحياة يا هارى .

– أشعر أننى على ما يرام .. أين أنا ؟..

– فى المستشفى ..لقد وقع لك حادث ..

وبدا له وجه ليستر كأنه قناع قاتم مصنوع من الصلصال .

– ولويز ؟.

– أننى آسف يا هارى ..أنها لم تنج من الحادث .

– لويز ، وهب من الفراش وألقى قدما مترنحة فوق الأرض الباردة ، ولكن الممرضة أسرعت ومنعته عن الحركة ، ثم راحت رأسه تدور وغرز أحدهم إبرة فى ذراعه ..

لم يبق فى المستشفى غير ثلاثة أيام وخرج منه ببعض الرضوض وبضلعين مكسورين ليحضر جنازة زوجته فى الكنيسة الصغيرة التى كانا يختلفان إليها فى مناسبات نادرة ، ووقف ليستر شو وزوجته موريبل بجواره طول الوقت ،ثم رافقاه بعد ذلك فى الطريق الطويل الذى لا ينتهى والذى يؤدى إلى المقبرة ..

وكانت موريبل هى التى تكلمت فشرحت له فى شئ من القسوة لماذا كان التابوت مغلقا ، وكان من بين ما قالت له :

– لم يبق منها شيء كثير يا هاري ، فقد تحولت إلى رماد "..

وتحدث ليستر عن تفاصيل الحادث نفسه فقال :

– كنا نسير خلفك بنحو ثمانمائة متر ورأيت السيارة تنقلب وتندلع فيها النار ، ووصلنا فى الوقت المناسب لكى ننقذك من ذلك الأتون ، أما لويز فلم يكن باستطاعتنا أن نفعل شيئا من أجلها .

وبعد انتهاء الجنازة رافقا هارى إلى بيته ، وهو عبارة عن مزرعة بدت الآن أكبر من ذى قبل وأشد برودة وأكثر عزلة ، وبينما راحت موريبل تعد القهوة بمساعدة ليستر بحث هارى عن الجرائد التى ظهرت فى الأيام الأخيرة ، وقرأ فيها نبأ الحادث وقد جاء فيه :

" لقيت مسز لويز جوردون مصرعها اليوم إثر حادث سيارة فى الطريق رقم ١٧ وهى سيدة معروفة فى المجتمع وزوجة هارى جوردون ، مندوب إحدى شركات التأمين ،وكانت عائدة هى وزوجها بعد سهرة قضياها عند جوزيف أنجورا ، وكان جوردون يقود السيارة وقد نقل إلى المستشفى مصابا بعدة جروح بسيطة .

وكانت هناك صورة حديثة للويز أخذت لها أخيرا بشعرها الأشقر الجميل ولكن يبدو أن المصور كان على عجل من أمره فوضع الصورة السلبية بالمقلوب بحيث ظهرت الشامة الصغيرة التى على خدها الإيمن على خدها الإيسر، وبدت تماما كما لو أن هارى ينظر اليها من خلال مرآة إليه بطريقة ما أنها على قيد الحياة .

وقالت موريل بلباقتها المألوفة :

– أرى أن من الأفضل أن لا ننجب أولاداً تصور مدى مصيبتهم عندئذ..

أجاب هارى وهو يحتسى قهوته فى جرعات صغيرة ، ولم تكن لتعادل قهوة لويز :

– إن مصيبتى أنا كبيرة أيضا ..

وسأله ليستر :

– هل تريد أن تبقى وحدك هذه الليلة ؟.

– أظن ذلك ياليستر ..لماذا لا تعود إلى بيتك ؟.. أشكركما لأنكما أنقذتما حياتى .

ولم يقل لهما أنه كان يفضل لو أنهما تركاه يحترق هو الآخر ..

وفيما بعد ، عندما أصبح وحده ، أخرج دفاتر البنك وإشعارات الأسهم والسندات وحاول أن يفهم موقفه المالى بعد موت لويز ، كان الجزء الأكبر من النقود باسمه هو ولكن كان هناك مبلغ فى البنك باسمهما المشترك وثمة أشياء أخرى كالبيت والسيارة .

وكانت أم لويز قد ماتت بعد زواجهما بسنة وخلفت لها مائتين وخمسين ألف دولار .

اختلطت الأرقام أمام عينيه ، وتساءل هل كان يحب لويز أم النقود والآن وقد ماتت لويز فقد بقيت لديه النقود ، وتملكه الخوف مما اكتشفه فى نفسه

وعاد إلى مكتبه فى صباح اليوم التالى ، وكانت رأسه لا تزال معصوبة وأضلاعه تؤلمه ، ولم تقلقه جراحه ولكن جو الهدوء والعناية الذى وجده حوله جعله ينصرف بعد ساعة ، واتصل به جوزيف أنجورا ودعاه لتناول الغذاء معه ، وانتهز الفرصة لكى يقول إنه سيتغيب بقية اليوم .

كان أنجورا رجلا متوسط العمر ، أصلع يشتغل فى التصدير ويحتل مكانا لا بأس به فى مجتمع لونج إيلاند ، ومنذ أن وقعت زوجته فريسة للشلل ولم يعد فى مقدورها أن تتحرك إلا فوق مقعد متحرك لم يحرم أنجورا نفسه من إقامة الحفلات فى قصره العتيق الكبير الذى يقع فى جاردن سيتى ، وكان هارى ولويز عائدين من إحدى هذه الحفلات عندما وقع الحادث .

قال أنجورا فى لهجة حزينة وهو يضغط على يد هارى :

– آسف لأننى لم أحضر الجنازة ، لا نستطيع ، لا أنا ولا بيتى أن نصدق

قال هارى :

- أشكركما على الزهور .

وطلبا بعض الشراب وراحا يتحدثان عن الحادث بتلك الطريقة الإيجابية التى يجيدها الرجال الناضجون وأحس هارى أزاء ذلك بالارتياح بعد الاهتمام والرعاية اللتين أحاطوه بهما فى المكتب ، وفجأة نظر أنجورا إليه بعد الكأس الثانية وقال :

- أتعرف ياهارى أن بيتى لا تظن أن لويز ماتت ؟.

- لماذا ؟.

- الحق أن بيتى منذ أن أقعدها المرض تمر برأسها أفكار غريبة وهى لا تصدق أن زوجتك ماتت .

سأله هارى فجأة وقد تملكه الغضب أمام المجرى الذى اتخذه الحديث :

- وماذا تظن أننا حرقنا مكانها ؟.

حاول أنجورا أن يضحك ، والظاهر أنه أحس بالندم لحديثه هذا وقال :

- انس هذا الأمر يا هارى .. إن الوقت تأخر بنا ومن الأوفق أن نطلب الطعام .

ولكن على الرغم من أنهما لم يطرقا هذا الموضوع فى حديثهما بعد ذلك فإن فكرة أنجورا اتت ثمارها فى رأس هارى ، فحاول طوال اليوم أن يتذكر لويز كما كانت وأن يتخيلها حية وليست ميتة ، وكان ذلك حماقة طبعا ، فقد ماتت ووريت التراب ولن يعيدها هذر بيتى إلى الحياة.

وفى آخر الأسبوع اشترى هارى سيارة أخرى ومضى بها إلي مانهاتن لم تبد له المدينة حزينة أبدا كما بدت له فى مساء ذلك السبت ، وعندما ترك

سيارته أخيرا في موقف عام وذهب ليتمشى قليلا فى الشوارع رأى أن مطرا خفيفا من تلك الامطار الربيعية راح يهطل وحال بينه وبين الاستمتاع بالمشى .

ورأى مشرباً صغيرا فى حى جرينويتش فمضى إليه وقد انتوى أن يتناول كأسا من البيرة وأن يقضى به فترة من الوقت إلى أن ينقطع المطر ولكن لم يسعه إلا أن يفكر فى لويز ، فقد سبق أن جاء معها إلى هذا المشرب مرة أو مرتين ، وبعد الكأس الثانية رأى أنه يختلس النظر إلى مقالات الجرائد التى تتحدث عن موتها ، وحاول أن يقنع نفسه بأن الأمر طبيعى ، لاسيما أنه لم يمض على موت لويز غير أسبوع واحد ، ولكن محاولته راحت سدى فغادر المشرب ، وكان المطر قد انقطع فى الخارج وامتلأت شوارع جرينويتيش بالحركة من جديد ..

وعندئذ رآها ... ورأى لويز ..

وخيل له أن قلبه قد توقف عن الحركة وتفصد ظهره بالعرق البارد فقد خرجت لويز بشعرها الأشقر الذى ينساب فوق كتفيها وهى ترتدى معطفا واقيا من المطر وبنطلونا رثا وتحمل فى يدها كيسا من الورق خرجت من أحد محلات الجزارة .

واندفع خلفها فى حين راحت هى تشق طريقها بين المارة الذين يزحمون الرصيف ، لقد قالت بيتى أنجورا أنها لم تمت وهى حقا لم تمت.. لويز ! ..

ولم تلتفت واستمرت تتقدم ، وفى آخر ميدان واشنتجتون دخلت بهواً قليل الضوء ببيت مفروش وأمسكها هارى من ذراعها وهو يقول :

– لويز !.. أنت حية !.. وواجهته تحت نور مصباح كهربائى قوى يتدلى

من السقف وقالت :

– دعنى يا سيدى والا ..

– إننى ..

كان الشبه موجودا فعلا ، وكان شبهها غريبا حقا ، ولكنه الآن وهو يراها عن كثب أدرك خطأه ، فقد كانت العينان مختلفتين ، ولم يكن للشعر الطويل نفس اللون ولم تكن هناك شامة على الخد الأيسر وتمتم يقول :

– التمس المعذرة .

قالت :

– حسبتنى أخرى .. هذا أمر كثير الحدوث .

– حسبتك زوجتى .. إنها ماتت فى الأسبوع الماضى .

– حسنا .. هذه أول مرة يخلط فيها أحد بينى وبين شبح .

عاد يقول :

– معذرة .. هل أستطيع أن أطمع فى عفوك بأن أقدم لك شيئا ؟.

– إن معى كيسا مملوء بزجاجات البيرة ، وهناك حفلة سوف تبدأ فوق..

وكان قد ابتعد عنها حين استوقفته قائلة :

– أعطنى الوقت الكافى لكى أصعد بهذا الكيس ثم أهبط ثانية .. إنك تدين لى بكأس بعد أن أخفتنى كل هذا الخوف .. سأعود حالا .

وعادت بعد لحظات يتابعها صوت رجل ثمل يقول :

– لا تتأخرى كثيرا يا روزى .

واصطحبها إلى المشرب الذى غادره لتوه وقدم لها نفسه فابتسمت وقالت بدورها :

– اسمى روزى بيتس والواقع أن اسمى روز مارى ولكن لا يناديني به أحد وأنا أعمل بالمسرح ، وقد قمت بدور فى برودواى فى مسرحية لالبى وبيكيت ، والآن حدثنى عن زوجتك .

– إنها قتلت فى حادث سيارة فى الأسبوع الماضى ، ورفع يده إلى جبينه المعصوب وقال :

– وأنت من بعد فى الشارع تشبهينها ..

ثم إن هناك امرأة مجنونة أعرفها تزعم أن لويز ما زالت على قيد الحياة .

– أستطيع أن أؤكد لك فى هذه الحالة أننى لست هى .

– أعرف ذلك الآن كما أعرف أيضا أن لويز ماتت .

– هل تريد أن تأتى وتنضم إلى أصدقائى ؟.

– كلا .. شكرا لك ..

وتناولا كأسا ثانية من البيرة وهما يثرثران ، ووجد نفسه فجأة وقد رد إلى الماضى كان قد مضى عليه وقت طويل لم يتحدث فيه مع فتاة مثلها وقد قالت له :

– تعال ذات يوم وشاهدنى وأنا أمثل على خشبة المسرح ..

– اتفقنا ، وأرجو أن يكون ذلك فى ميدان تايمز ..

إننى أصبحت كبيرة لا أصلح لأدوار البطولة ، فسأبلغ الثلاثين بعد أيام

قلائل وكتاب المسرح لا يكتبون مسرحيات لنساء فى مثل سنى.

هز هارى كتفيه وقال :

- إلا إذا كان الكاتب هو تنيسى ويليامز أو أدوارد ألبى ..

- أظن أننى أفضل القيام بالأدوار الكوميدية ، فيكفى ما فى الحياة من مآس كل يوم .. فيها ما يكفى من المآسى بالفواتير التى تأتى كل يوم والتى لابد من سدادها ، فى حين أنك لا تجد عملاً ، ولم يعد أمامك إلا الخيار بين مضاجعة مدير المسرح أو الموت جوعا .

هز رأسه وقال :

- وأنا الذى كنت أرثى لنفسى ! ورافقها إلى بيتها وهناك غادرها عند أسفل السلم قائلا:

- طابت ليتك يا روزى .

وابتسمت ابتسامة خاطفة وقالت :

- وليلتك يا هارى .

وفى الشارع بدأ المطر يتساقط من جديد .

وأمضى هارى يوم الأحد مع ليستر وموريل وقد أسعده وجودهما وامتدت السهرة حتى الليل وقد أحس كل منهم باختفاء لويز ، واحتلت وهى ميتة مكانها أكثر مما لو كانت على قيد الحياة .

وفى يوم الاثنين ذهب لأول مرة إلى مكتبه مبكرا ، وعاد الروتين اليومى إلى ما كان عليه ولم يهتم به أحد على وجه الخصوص .. وألقى نظرة إلى الرسائل التى جاءت باسمه ، وقرأ عناوين الراسلين وفض بعضها ، كان

أكثرها يتضمن العزاء من بعض الأشخاص الذين تربطه بهم علاقة عمل وكانت هناك رسالة أو رسالتان من بعض الأصدقاء ، ولكن كان هناك مظروف أبيض مربع لفت اهتمامه ففضه بدوره ..

كانت الرسالة وجيزة ومكتوبة على الالة الكاتبة " أرجوك أن تخبرنى يا هارى ، أنا لم أمت فى الحادث ولكننى أواجه الآن مشاكل رهيبة .سأحاول أن أتصل بك فيما بعد خلال النهار ".

وكانت تحمل توقيع لويز بخط مهزوز عرفه بصعوبة كبيرة ..

خطر له فى بادئ الأمر أنها دعابة سمجة ، ويقى مدة طويلة جالسا يحدق فى الرسالة ، وهو يتساءل من من أصدقائه أرسلها إليه أنها لم تأت طبعا من لويز ، فهى نادرا ما تكتب على الآلة الكاتبة والتوقيع لا يشبه كثيرا توقيعها ، ثم إنها ماتت .

نعم ..إنها ماتت .

ولكنه نسى ذلك بعد لحظة ، فبينما كان يقول لنفسه أن الرسالة لا يمكن أن تكون من لويز خيل إليه أنها حية تقريبا .

وقلب المظروف بين يديه وفحص الطابع الذى يعلوه ختم مكتب البريد صباح يوم الأحد فى وقت مبكر بالأدارة العامة للبريد بمدينة نيويورك كان من الممكن أن تكون الرسالة قد ألقيت فى صندوق البريد مساء السبت أو صباح الأحد ، مشاكل رهيبة ! ..

وتناول سماعة التليفون واتصل بليستر شو وقال له :

– ليستر هناك جديد ..هل يمكننا أن نتناول الغذاء معا ؟..

- طبعا يا هارى

والتقيا ظهرا فى نفس المكان الذى تناول فيه الغداء مع أنجورا قبل ذلك بأيام ، ولم يكن المطعم مزدحما ، وقال هارى :

- أشكرك لأنك أتيت ياليستر .

مر ليستر بأصابعه خلال شعره الأشعث فى عصبية وقال :

- ما الخبر يا هارى ؟.

راح هارى يقول وهو يحرك كأسه الفارغ بين يديه :

- أظن أننى حدثتك أمس بذلك الأمر الغريب الذى أخبرنى به أنجورا ، فقد قال أن زوجته لا تصدق أن لويز ماتت ولكننى لم أحدثك بماجرى لى مساء يوم السبت ، فقد ذهبت إلي نيويورك وتعرفت تقريبا على فتاة تشبه لويز فى جرينويتيش .

- هارى !..

رفع هذا الأخير يده وقال :

- هناك شئ أخر لحسن الحظ أن تلك الفتاة فهمت موقفي ، وقدمت لها كأسا وانتهى كل شئ ، ولكن قول أنجورا ، لم يفارق ذهنى ، ولك أن تفكر ما تشاء ، ولكننى أظن أن كل هذا إذا أضيف إلى نقطة ذات معنى وهى أننى لم أر جثتها .

- صدقنى أنه لم يبق منها شئ يستحق أن يرى يا هارى .

- أعرف ذلك ، ولكنني لم أر شيئا ، وعلى هذا يمكن أن تكون على قيد الحياة فعلا .

وأخرج من جيبه الرسالة وناولها له وهو يقول :

– وقد جاءتنى هذه فى بريد اليوم .

قرأها ليستر بسرعة وقال :

– هل تصدق ذلك ؟.

– كلا طبعا ، ومع ذلك .

ألقى ليستر بالرسالة على المائدة بينهما وقال :

– هارى ، يجب أن تثوب إلى رشدك ، أنك تظن أنك مسئول عن موت لويز ، وتتوهم أنها لا تزال على قيد الحياة .

– وما رأيك فى هذه الرسالة ؟.. من الذى أرسلها ؟..

زم ليستر شو شفتيه قبل أن يرد ويقول :

– ألا يمكن أن تكون أنت الذى أرسلتها إلى نفسك ونسيت ذلك ؟..

– ماذا ؟.. هل تحسبنى مجنونا ؟..

– ألم تقل لى إنك رأيت امرأة حسبتها هى ؟..

– هذا أمر آخر .

– حسنا سوف نتأكد بعد قليل فقد قالت أنها ستتصل بك اليوم ؟..

قال هارى فى هدوء وهو يفكر :

– نعم وإننى أتساءل الآن ما هو الأسوأ ، أن تكون حية أو ميتة ..

وجاءت الرسالة الثانية فى الساعة الرابعة من بعد الظهر ، وكانت عبارة

عن برقية مرسلة إلى هـارى فى مكتبه ، وفضها بيد مرتعشة وقرأ الكلمات التالية :

" أنا بحاجة إلى نقود يا هارى ، قل لليستر شو أن يلتقى بى فى السابعة من صباح الغد أمام نافورة شيرمان بارك آمن بى لويز "..

وضع البرقية فى جيبه وخرج ، ولكنه لم يتصل بليستر على الفور ، وإنما ذهب قبل ذلك إلى ما بعد جاردن سيتى حتى قصر جوزيف أنجورا العتيق وتذكر وهو يصعد الدرجات الأمامية للبيت أن هذه أول زيارة له بعد الحادثة ويدا له المكان مختلفا وكئيبا وموحشا فى ضوء الفسق الباهت .

وقال أنجورا وهو يفتح الباب :

– إننى وصلت منذ لحظات ، كيف حالك يا هارى ؟..

– ليس على ما يرام تماما ، هل أستطيع أن أرى بيتى ؟..

– بكل تأكيد .. فى أى موضوع ؟..

– لويز ..

هز أنجورا رأسه ، ثم تقدمه خلال بعض الغرف ، وكانت مألوفه لديه .. والتقيا فى طريقهما باحدى الخادمات وبالطاهية ، ولكن هارى لم يلحظ أيا منهما، وكانت بيتى وحدها فى مقعدها ، فى الشرفة ، تنظر إلى الأمام نحو الغرب حيث لم تبق إلا حمرة خفيفة فى السماء ، وقالت وهى تمد له يدها :

– مساء الخير يا هارى إننى حزينة لما حدث لزوجتك ..

كانت امرأة قصيرة القامة فى نحو الخامسة والأربعين من العمر تشبه الملكة فيكتوريا بعض الشئ ..

وقال هارى وهو يحس بوجود أنجورا خلفه :

- إننى أتيت لكى أتحدث معك عنها ، لقد قال لى جو شيئا فى الأسبوع الماضى .. شيئا نقله عنك .

نظرت إليه دون أن تطرف وقالت :

- إننى حدثته عن لويز ، وقلت له إنها ما تزال على قيد الحياة ..

- ما الذى حملك على مثل هذا القول ؟.

أجابت ببساطة :

- إننى رأيتها ، غداة يوم الحادث كانت تمشى هنا فى الحديقة .

ماإن سمع هارى هذه الكلمات حتى سرت فى بدنه قشعريرة ، وقال كما كان يخاطب شخصا مختل العقل :

- أظن أن من الأوفق أن تحدثينى بكل شئ .

بدأت تقول :

- غفوت بعد الظهر قليلا وعندما صحوت رأيتها واقفة أمامى بين أشجار الورد ، وكانت تحاول أن تقطف بعضها ، ولكن الوقت كان لايزال مبكرا بالطبع لمثل هذا العمل .

سألها هارى :

- ألم يكن ذلك حلما .. حلما من الجائز أن تكونى رأيته بعد حادث السيارة .

قالت بيتى :

– هذا جائز ولكن فيم يهم هذا ؟ إن ما يهمنى أنا هو أننى رأيتها على قيد الحياة وأنها نتيجة لذلك لا تزال حية .

همس أنجورا خلفه يقول :

– سبق ان رأت بيتى رؤى كثيرة هل تتذكر ذلك الصبى الذى تاه فى الصحراء منذ سنوات ، لقد أكدت بيتى منذ البداية أنه لم يمت وبعد ذلك بقليل عثروا عليه فعلاً .

تنهد هارى وبحث عن سيجارة فى جيبه وقال :

– لقد جاءتنى رسالة وبرقية موقعتان باسمها ، فهل أنت التى أرسلتها لى يا بيتى ؟.

– كلا طبعا لماذا لا تريد أن تصدق يا هارى ؟.. تقبل حقيقة أن لويز مازالت حية إننى لم أرسل إليك أية رسالة .

حدق فى عينى بيتى السمراوين محاولا أن يرى إذا كانت تكذب ، ولكن كل الذى راه كان شيئا غريبا لم يفهمه .. شيئا أشبه بالظل تعذر عليه اجتيازه ، ولم يغبط جوزيف أنجورا ..

وانتهى بأن قال أخيرا :

– أشكرك أشكرك لأنك تحدثت معى ..

وأذ نهض لكى ينصرف أخذه أنجورا من ذراعه وقال :

– أخبرنى بما يجد يا هارى .. إذا كان هناك ما نستطيع أن نفعله ..

عاد هارى يقول :

أشكرك ..

وعاد إلى مكتبه واتصل تليفونيا بليستر شو ، وحدثه عن البرقية التى جاءته وبزيارته لأنجورا وسأله :

– ما رأيك فى كل هذا ياليستر ؟.

وأجابه ليستر شو فى شئ من التردد :

– رأيى أن شخصا أراد أن يقوم بدعابة سمجة ألا يمكن أن يكون هذا الشخص هو بيتى بالذات ؟.

– ولماذا هى ؟..

– ولماذا شخص آخر ؟.. شخص عاقل على الأقل ..

– ألا يمكن أن تكون لويز على قيد الحياة ياليستر ؟ ويبدو أنه لم يكف عن هذا السؤال منذ الحادثة ..

– إننا وصلنا إلى المكان عقب الحادث مباشرة يا هارى .

– ولكن هل رأيتماها حقا فى السيارة ؟.

– هارى .. هارى .. كانت هناك جثة فى السيارة .. وليس هناك أى شك فى أنها جثة لويز .

– لنسلم بهذا .. ولكن إذا كانت لا تزال حية بطريقة ما وبحاجة إلى المساعدة ..؟ إن الشخص الذى أرسل هذه البرقية لا يمكن أن يكون مجنونا فحسب .. أنه قبل كل شئ يعرف اسمك .

تنهد ليستر شو وقال :

– ماذا تريد منى أن أفعل يا هارى ؟..

– أن تقابلها غدا صباحا .. كائنة من تكون .. ساعطيك قليلا من النقود .ربما مائة دولار ، وسأنتظر على مقربة ، سوف نجلو هذه المسألة على كل حال .

– حسنا ياهارى . إذا كان هذا ماتتمناه .

– سألتقى بك غدا صباحا فى الساعة السادسة والنصف .

كان ينبعث من المحيط فى بعض الأحيان فى صباح أيام الربيع نوع من الضباب يبقى حتى بعد الظهر فيعتم الرؤية ويلف كل شئ بمعطف يكاد يكون خانقا ، هكذا كان الطقس فى شرمان بارك فى الساعة السابعة إلا خمس دقائق فى صباح ذلك اليوم .

وقال هارى على الفور :

– إنها أختارت هذا المكان بسبب الضباب .

فأجاب ليستر :

– ما كان بمقدورها أن تعرف أمس كيف سيكون الطقس اليوم ، فأن هذا لا يحدث كل الأيام .

كانت الحديقة صغيرة تقع فى وسط القرية ، وبدا منظرها غريبا تحت الضوء الباهت ، وكان الضباب يكاد يحجب النافورة التى فى وسطها وكانت قطرات الماء تغطى الأشجار العارية .

وقال هارى :

– سأنتظر هنا ، سأترك لك خمس دقائق مع الشخص الذى سيتقدم منك .

هز ليستر شو رأسه وقال :

– مهما يكن فلن أعطيه النقود قبل أن تأتى ..

ثم ترك هارى ومشى نحو النافورة .

وحاول هارى لمدة لحظة أن يرى شيئا خلال المنظرالذى بدأت معالمه تتضح ، ولم يكن يسمع أى صوت فيما عدا أصوات السيارات التى تنطلق فى الطريق وصوت الماء الذى ينساب من النافورة .

وأنتظر حتى السابعة وخمس دقائق ثم تقدم بدوره من النافورة وخيل إليه أنه يسمع شخصا يسعل أمامه ، ولكنه لم ير شيئا فيما عدا رطوبة الأشجار وبراعم الربيع التى بدأت تظهر .

– ليستر ؟.

لم يكن هناك أحد بجوار النافورة .. لا ليستر ولا لويز ولا أى أحد آخر ، ودار هارى حولها وهم أن يرجع عندما رأى فوق سطح الماء شيئا يكاد يختفى تحت تموجات الزبد .

لم يكن هذا الشئ إلا ليستر شو ، وكان ميتا ، ومرت لحظة ثم أقبل شرطى كان يبدو أنه يقوم بداوريته ، ونظر إلى هارى فى أستغراب وقال له

– إن اسمى كاتر ، الرقيب كاتر ، هل لك أن تقول لى ما حدث ؟.

– كان يجب أن التقى بشخص هنا لقد ذكرت كل شئ للملازم .

– وماذا لو ذكرتها ثانية ؟ .. حدثنى أولا عن الرجل الميت .

– ليستر شو .. كان صديقا لى ..

– هل قتلته ؟..

– كلا ، كلا بالتأكيد .

– ومع ذلك قتله أحد .. ولابد أنك رأيته ؟.

– لم أر شيئا على الاطلاق ..

– هل سمعت الرصاصة ؟.

– كلا ، خيل لى أننى سمعت شخصا يسعل ولاريب أنه كان صوت الرصاصة .

تبادل كاتر بضع كلمات مع شرطى آخر فى صوت خافت ثم عاد إلى هارى ، وكان جالسا فوق مقعد مبتل بالحديقة وقال :

– المسدس من عيار صغير والرصاصة أطلقت عن قرب تقريبا لصق سترته ، ولهذا بدا صوتها أشبه بالسعال .. بمن كان يجب أن تلتقي هنا ؟..

– بزوجتى .. لويز جوردون .

– هل جاءت ؟..

– لم أرها ..

– أين هى الآن ؟.

– أنها ماتت منذ أسبوع ..

هز الشرطى رأسه وقال :

– يحسن بك أن تأتى معى إلى قسم البوليس يا مستر جوردون ، فقد يستغرق ذلك بعض الوقت .

وهذا ما حدث ، فقد أوشك النهار أن ينصرم وهارى ما يزال يروى قصته

لكاتر منذ ليلة الحادث .. الحديث والوقائع والتفاصيل والرسالة والبرقية كل شئ .. وعند المساء بينما كان هارى يتأهب لقضاء الليل فى قسم البوليس بدا أن الشرطى قد أصبح أكثر ودا وليونة ، وبعد أن تغيب نصف ساعة عاد وقال :

- إننى تحدثت مع زوجة القتيل .

- موريين ؟ كيف تلقت النبأ ؟.

- بقدر ما واتتها الشجاعة .. إنها فتاة جميلة جدا .

تنهد هارى وندم لأنه لم يكن معه سجاير وقال ما معني هذا ؟..

- قـتل بعض الرجال لأقل من هذا ، هـل هنـاك شئ بينك وبين موريين شو ؟..

- أبدا ، أنني قلت لك كل ما أعرف ، فلماذا لا تصدقنى ؟..

- من الصعب تصديق هذه القصة يا مستر جوردون إنك بالنسبة لى المشبوه رقم ١ , ,

- هل ستلقى القبض على ؟.

- ليس بعد ..

وابتعد من جديد .. وقضى هارى النصف الساعة التالية ينظر إلى حركة المرور عبر قضبان النافذة السميكة ، وحاول أن يتذكر كيف كانت الأحوال قبل ذلك بأسبوعين ، عندما كانت لويز لا تزال على قيد الحياة وكل شئ على ما يرام ..

عندما كانت لويز على قيد الحياة .. هل عاشت حقا ؟.

وقال الرقيب كاتر خلفه :

– أريد أن تتكلم مع شاهد .

– شاهد ؟ أتعنى شاهدا لجريمة القتل ؟.

تبع هارى الرقيب إلى غرفة مجاورة وقد أزدادت نبضات قلبه ، وقدم له كاتر سيجارة ثم قدمه لرجل مسن وخط المشيب شعره كان يجلس على مقعد خشبى مستطيل وهو بادى الضيق ، وكان يدعى أوتو كارى ، ويقيم فى آخر الشارع الذى تقع فيه الحديقة .

ويبيع الجرائد للأهالى الذين يستقلون القطار مبكرين ، وقال وهو يحدق فى هارى من خلال نظارته السميكة ..

– هى امرأة هيفاء لها شعر طويل أشقر وشامة على خدها الأيمن ، هبطت من القطار القادم من نيويورك فى الساعة السابعة إلا الربع ، وقد أثارت اهتمامى لأن قليلا من الناس يأتون من نيويورك فى مثل هذا الوقت من الصباح .

قال هارى فى غير اقتناع :

– هناك نساء كثيرات لهن شعور شقراء وشامات فى وجوههن .

تنحنح كاتر وقال :

– ولكنه تعرف على صورتها فى الجريدة ..

– صورة لويز ؟..

هز الرئيس رأسه علامة على الإيجاب وقال فى صوت مرتفع :

– نعم ..

– هى حية ترزق أذن ؟..

شيع كاتر أوتو كارى حتى الباب وهو يقول له :

– شكرا لك أيها السيد ، سنطلعك على ما يجد .

ثم عاد وجلس أمام هارى وقال :

– هذا جائز .

– بعد أن ماتت ؟..

أجاب كاتر :

– كلا إن الموتى لا يعودون أبدا ولكن لعلها لم تمت أبدا .

كانت قرية جرينويتيش فى تلك الليلة تعبق بحلاوة الربيع ، وراحت الشوراع المحيطة بميدان واشنطن تغص بالمارة من الطلبة والفنانين والسياح والنصابين الذين نراهم يخرجون دائما عندما يكون الجو صحوا يغرى الناس بالنزهة ، وكان هارى جوردون بينهم يبحث عن شئ بالذات ، واهتدى أخيرا إلى باب كاد ينسى معالمه .

وحالفه الحظ ، فقد كانت موجودة ، وفتحت له عندما دق الباب مرتين وقال :

– صباح الخير ..هل تتذكريننى ؟.

قطبت حاجبيها لحظة ثم هتفت :

– آه .. أنت ذلك الرجل الذى التقيت به فى تلك الليلة .. هارى !..

– هذا صحيح .. هل أستطيع الدخول ؟.

أفسحت روزى بيتس له الطريق لكى يستطيع الدخول ، وكانت قد فرغت من غسل شعرها وصففته فى حلقات ، وقالت لهارى :

– أرجو المعذرة .. فلا يأتى لزيارتى أحد مساء يوم الثلاثاء .

– إن الجو جميل .. وقد خطر لى أنك ربما تكونين قد خرجت .

وأشارت إلى شعرها وقالت :

– إننى أغسل شعرى مرة كل أسبوع ، وأقوم بأعمال البيت ، كنت أفعل ذلك عادة كل يوم الأثنين ، ولكننى أتلقى الآن درسا فى المدرسة الجديدة ..

كان المسكن فى حالة من الهرج والمرج المكنسة الكهربائية تدور والخرق فى كل مكان ، ورأى هاري على الفور أنه جاء فعلا وهى تباشر أعمال البيت فقال :

– يؤسفنى أننى أزعجتك كان يجب أن أتحدث معك تليفونيا .

– أبدا .. يسرنى أننى رأيتك هل تريد بيرة ؟ ليس لدي شئ فى الوقت الحاضر ، فإن أصدقاء مساء السبت استهلكوا كل شئ ..

لا بأس بالبيرة ..

وجلس فى غير ارتياح على حافة أريكة بالية باهتة اللون لم يكن هناك شك فى أنها تستخدم فراشا فى نفس الوقت ، وسمع روزى تعمل فى المطبخ ثم عادت بعد قليل ومعها زجاجتان من البيرة وسألته تقول :

– ما الأخبار ؟..

روى لها فى إيجاز أحداث الأيام القليلة الماضية ، فحدثها عن الرسالتين الغريبتين اللتين استلمهما وعن زيارته لأنجورا وأخيرا عن مقتل

ليستر شو ، فقالت :

- إنه كابوس حقيقى أليس هناك أى دليل ؟.

- لا شئ ، ليس هناك أى دليل إلا ضدى أنا ، أن الرقيب كاتر يظن أنني قتلت ليستر لأنني كنت أغازل زوجته موربيل .

- وهل كنت تغازلها فعلا ؟..

- بالكاد .

طوحت برأسها إلى الخلف وهى حركة سبق أن رآها منها ، وقالت :

- إن قصة وجود زوجتك على قيد الحياة حتى الآن سخيفة جدا ..

ألا يمكن أن يكون بعضهم قد دبر أمر هاتين الرسالتين وكل الباقى لا شئ إلا لكى يقتل ليستر شو ..

- أتعنين موربيل مثلا ؟.

- أو ربما أنجورا الذى تكلمت عنه ؟.

- ولماذا ؟.

فكرت لحظة ثم راحت تحتسى بيرتها وقالت :

- أتمنى لو أستطيع مساعدتك يا هارى ..

- إنك تستطيعين حقا إذا كنت تعنين ما تقولين .

- وكيف ذلك ؟.

- إنك لفت نظرى مساء السبت لأنك ، من أول وهلة ، تشبهين لويز وأريد أن أصحبك لزيارة بعض الأشخاص غدا صباحا ، أريد أن أري كيف

سيتصرفون .

أى أشخاص ؟..

– أوتو كاري ، بائع الجرائد وربما مسز أنجورا أيضا .

– ولأى غرض ؟..

– أن كلا منهما يظن أنه رأى امرأة يمكن أن تكون لويز ، وأريد أن أذهب إليهما معك لكى أرى رد الفعل عندهما ، إذا كانا قد رايا تلك المرأة حقا فسوف يلحظان الشبه بينكما طبعا .. على الأقل كارى لأنه لم ير أبدا لويز وهى على قيد الحياة .

– هارى .. ماذا تتمنى ؟ .. أن تكون حية أو ميتة ؟ حاول أن يسبر مشاعره ، ولكن مهما يكن الرد فقد أحس بأنه لن يستطيع مواجهته بعد فقال :

– لا أدرى .. أظن أنه لابد لى من الأنتظار .

– إنك رجل عجيب .

– هل تأتين معى غدا صباحا ؟..

– طبعا ..

وبدا عليها التردد لحظة ثم قالت :

– إن لويز كانت امرأة جميلة جدا ، وقد وجدت صورة لها فى هذه المجلة

ومدت يدها نحو منضدة صغيرة ، وتناولت من فوقها مجلة للأزياء كانت قد صدرت منذ ثلاثة شهور تضم بضع صور بالألوان كانت قد التقطت فى

نيويورك فى الصيف الماضى ، وأهداها لهارى ولويز على الشاطئ ، وتذكر أنه داعب لويز بسبب هذه الصورة عند صدور المجلة ، ولكنه اكتفى الآن بأن قال :

– نعم كانت جميلة جدا ..

وفى وقت متأخر من تلك الليلة ، وحين ألفى نفسه وحده فى مسكنه بكى لأول مرة منذ الحادثة ، ولكنه كان يبكى على نفسه أكثر مما يبكى على لويز

وفى صباح اليوم التالى مضى إلى روزى فى وقت مبكر جدا ، وبلغا شيرمان بارك قبل الثامنة ، وكان الجو صحوا كالأمس وراح الناس يهبطون من القطارات بحركات أقل سرعة مما كانوا يفعلون فى أشهر الشتاء وأوقف هارى سيارته وانتظر مع روزى فترة بين وصول قطارين قبل أن يقترب من أوتوكارى وقال له :

– صباح الخير .

رفع الرجل عينيه عن جرائده ونظر عبر زجاج نظارته السميكة دون أن يبدو عليه أنه عرف القادم تماما ثم قال :

– أنت .. إنك كنت فى قسم البوليس أمس ..

– هذا صحيح ..

– هل تريد جريدة ؟.

– نعم أعطنى التايمز ، هذه السيدة الشابة صديقة لى مس بتيس ..

نظر أوتوكارى إلى روزى من أعلا رأسها إلى أخمص قدميها ثم قال فى غير اهتمام :

– صباح الخير ..

وعاد هارى يقول :

– إننى كنت أتسـائل .. تلك المرأة التى رأيتـها أمس .. هى تشبه مس بتيس ؟.

نظر الرجل العجوز إليها ثانية وقال :

– ليس كثيرا ، شعرها أولا ليس من نفس اللون ، ولا توجد على خدها شامة ثم إن سيدة الأمس كانت تضع على وجهها أصباغا كثيرة .

أخرج هارى صورة الجريدة وقال :

– سبق أن رأيت هذه الصورة أمس .. نعم إنها هى .

– شكرا .. شكراً جزيلا .

وتحول وابتعد هو وروزى بتيس عندما ارتفع صوت مألوف :

– هل تقوم بعمل البوليس السرى يا مستر جوردون ؟..

كان الصوت صوت الرقيب كاتر ، وكان واقفا فى غير اكتراث ، وقد ارتدى معطفا لم تكن هناك حاجة إليه ..

– صباح الخير أيها السرجنت أنما كنت اشترى جريدة لا أكثر ..

وقال كاتر وهو يزداد دنوا منهما :

– ألا تريد أن تقدمنى يا مستر جوردون ؟..

قال هارى :

– روزى بتيس .. الرقيب كاتر ، هز الشرطى رأسه وقال :

– حدثنى مستر جوردون عنك ، يسرنى أن أتعرف بك .

قال هارى :

– اسمع .. هل تتبعنى ؟..

كلا إنما كنت ألقى نظرة على الحديقة عندما رأيتك مجرد فضول .

وأخرج سيجارة واستطرد :

– إنني كثير الفضول ، خاصة فيما يتعلق بحياتك الخاصة يا مستر جوردون ..

بدأ الضيق على وجه هارى وقال :

– قلت لك إننى ألقيت بمس بتيس مساء السبت الماضى ، أليس كذلك يا روزى ..

اضطرم وجه الفتاة وقالت :

– نعم ..

هز كاتر رأسه وقال :

– سوف أراك ذات يوم يا مستر جوردون ثم ابتعد ..

قالت روزى :

– إننى لا أحب هذا الرجل فهو يعتقد أنك تخفى شيئا .

وتذكر هارى كلمات ليستر عندئذ ، أيمكن أن يكون قد أخفى شيئا ما ؟ أيمكن أن يكون قد أرسل لنفسه هاتين الرسالتين وأن يكون قد قتل لستر شو من غير أن يعى .. أليس هذا الجرح الموجود فى رأسه نتيجة للحادثة

التي وقعت له ؟..

قال أتو كاري فجاة :

- يجب أن أذهب ، فهناك قطار قادم بعد ثلاث دقائق .

وسألته روزي ماذا تفعل الآن ؟.. هذه المرأة التي تدعى بيتي أنجورا ؟.. قال هاري :

- ليس اليوم ، سوف تنتظر فإن لدي عملا آخر ..

- إن هذا الشرطي أفسد عليك خططك .

- أظن ذلك ومازال باستطاعته أن يتبعنا ، ولا أريد أن أذهب إلى أنجورا الآن ، سأرافقك إلى البيت .

وقطعا الطريق عائدين إلى قرية جرينويتش دون أن ينطق أحدهما بكلمة تقريبا ، وغادر هاري روزي بعد أن وعدها بأن يتصل بها تليفونيا ، ثم مضى بسيارته إلي لونج إيلاند ، وتذكر وهو في طريقه واجب بغيض لابد له أن يقوم به ، كانت جثة ليستر شو موجودة في غرفة جنائزية ، وكان يجب عليه أن يلقي عليها نظرة ، ولكن معرفته بأن ليستر شو مات وأن موربيل حية ترزق كل شيئا لا يستطيع مواجهته بعد ، فإن هذه الميتة أحدثت في نفسه صدمة كبيرة أثرت عليه أكثر مما أثر عليه موت زوجته ، ولم تكن هناك أية فرصة في أن يعود ليستر .

وأوقف العربة أمام بيت ليستر ، وكان الوقت لا يزال مبكرا للزيارات العادية ، ولكن موربيل كانت جالسة بجوار الجثة وقد أرتدت ثياب الحداد وابتدرته قائلة صباح الخير يا هاري ، سنة سيئة بالنسبة لهما هما

الاثنين..

- إننى حزين حقا يا مورييل .

- من الذى أراد أن يقتله يا هارى ؟.. رجل مثله ؟..

- كان ليستر مخلصا يا مورييل كنت أوثر أن أكون مكانه ..

واقترب هارى من التابوت ، وكان ليستر مسجى فيه وقد صفت باقات الزهور حول التابوت نفسه وتلا صلاة قصيرة ثم عاد إلى مورييل وقالت له هذه الأخيرة :

- هارى هل تظن أنه قتل لأنه رأى شيئا ليلة الحادثة ؟.

- لا أدرى يا مورييل .. سأعود هذه الليلة ، هل توافقين ؟..

- أوافق ، وحاولت أن تبتسم وهى تراه يبتعد .

وفى الناحية الأخرى من الشارع كان كاتر ينتظر فى عربته فقال له فى هدوء ، اصعد .

قال هارى وهو يجلس بجواره :

- لماذا تتبعنى ؟..

- إننى بحاجة إلى بعض الإيضاحات ..

- عنى أنا ومورييل ؟.

- وأشياء أخرى أيضا ..

- وما هى ؟..

قال كاتر فى حدة :

– أريد أن أعرف ماذا فعلت بعد حديثنا الأخير .

قال هارى مكشرا :

– وهل يساعدك ذلك فى معرفة إذا كانت لويز حية أو ميتة ..

نظر الشرطى أمامه مليا وقال :

– لو أننى مكانك يا مستر جوردون لما اهتممت أبداً بمعرفة ذلك .

– ولم لا ؟..

– لأنه إذا كانت زوجتك لا تزال حية فهى قاتلة ، إنها قتلت ليستر شو وبطبيعة الحال الشخص الذى احترق فى سيارتك ، وإذا كانت لا تزال حية فقد يقع اختيارها عليك لكى تكون ضحيتها المقبلة ..

لم يشأ الليل أن يأتى حقا ، وتأخرت أشعة الشمس الأخيرة عن الأحتجاب خلف الأفق أكثر من العادة .

وكان هارى قد قضى بضع ساعات فى المكتب يرص بعض أوراقه فوق بعضها وهو يقول لنفسه أنه سيهتم بها فيما بعد وعندما عاد إلى بيته أحس بشئ من الفراغ أسوأ من ذلك الفراغ الذى أحس به فى اليوم الذى شيعت فيه جنازة زوجته كانت لويز الميتة شخصا مفقودا ، أما لويز الحية فيمكن أن تكون روحا مفقودة هى الأخرى ، وتساءل هل يمكنه أن يحتمل مواجهتها بعد أن صارت إلى ما هى عليه ..

ودق جرس التليفون فى الساعة العاشرة إلا عشر دقائق فأخذ السماعة وسمع همسا مألوفا فى آخر الخط يقول :

– هارى !..

– من الذى يتكلم ؟.

– حاول أن تسمع لا أستطيع أن أرفع صوتى .. أنا لويز .

وفجأة نفصد العرق البارد من كل جسمه ، وأحس بألم غريب فى معدته وقال وهو يدرك حماقة هذا السؤال :

– لويز .. ألم تأتك رسالتى ؟..

– أننى أكاد لا أسمعك .

إننى حية ، ولكننى أواجه مشاكل رهيبة وأنا بحاجة إلى نقود يا هارى ، يجب أن أغادر المدينة .

– وما المهم ؟.. إننى أختبئ ..

– لقد مات ليستر .

– أعرف ذلك أنا لم أقتله يا هارى ، يجب أن تصدقنى .

– ولكنهم رأوك على مقربة من الحديقة ؟..

– كنت هناك فعلا ولكننى لم أقتل ليستر ..

– من الذى قتله أذن ؟.. ومن المرأة التى احترقت فى سيارتى ..

– سأشرح لك كل هذا عندما أراك يا هارى ألا يمكن أن تثق بى ..

كان هناك شئ يزعجه .. أهذه هى لويز حقا ؟.

– هارى .. هل لابد أن أتى ؟ ربما كان ذلك أوفق .

– إننى بحاجة إلى نقود .. عشرة لاف دولار .

– وأين تعتقدين أننى أستطيع الحصول على هذا المبلغ ؟.

– أن لنا حسابا مشتركا.. وهذا المبلغ ملكى على كل حال .

كانت على حق ولعل هذا هو الذى خلق مشاكل السنوات الماضية بالذات

– لا أستطيع الحصول على هذا المبلغ أثناء الليل ..

– أليس هناك نقود بالبيت ؟..

– إنك تعرفين بكم كنت أحتفظ فى البيت دائما .. بخمسين أو ستين دولار على الأكثر .

– غدا إذن ، هل يمكن أن تحصل على هذا المبلغ غدا ؟.. أوراق صغيرة ؟..

أطلقت تنهيدة تدل على الاستسلام للأمرالواقع وقالت :

– حسنا إننى آتية .. ولكن هناك خطرا .. هناك قوم يريدون قتلى .

– سأتصل بالبوليس تليفونيا .

– كلا ؟.. سيلقون القبض على .. سيقولون إننى قتلت ليستر شو والمرأة التى كانت فى السيارة .

– حسنا جدا سأنتظرك ، سوف تذكرين لى كل الحقيقة ، سنرى ما نستطيع عمله بخصوص النقود .

– تمتمت :

– سأكون عندك بعد ساعة وأعادت السماعة مكانها .

بقى هارى جالسا بجوار التليفون مدة طويلة .. تساءل هل يستدعى كاتر إذا لم تكن هى لويز وإنما شخص آخر يتعرض لخطر كبير .. وحتى إذا

كانت لويز فإنه غير واثق من أنه يستطيع التغلب عليها ، إذا كانت هى حقا واذا كانت قد عادت ..

صلصل جرس الباب فى الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق وعرف هارى أنه لابد أن تكون هى ، ومضى لكى يفتح وهويحاول أن يتمالك نفسه ويتساءل ما الذى سيراه عندما يفتح الباب ، كان متأهباً لكل شئ فيماعدا أن يجد نفسه وجها لوجه مع لويز ..

كانت واقفه على العتبة تخفى عينيها خلف نظارات سوداء وتغطى جزءاً من شعرها بوشاح ، وبدت له أجمل مما يتذكر وأكثر غموضا وأكثر أنوثة ..

أسرع يقول :

– أدخلى .

– مساء الخير يا هارى .

وكانت لاتزال تتكلم فى صوت خافت جدا كما لو كانت غير واثقة من نفسها .

– يمكنك أن تتكلمى بصوت مرتفع ، فنحن وحدنا .

– إننى .

ولمجرد لحظة خاطفة أحس بأنه نسى كل شئ ، وود أن يمسك هذه المرأة ويضمها بين ذراعية كما فعل مع لويز أكثر من مرة ولكنه قال فجأة :

– كانت لويز تستخدم مفتاحها .

– ماذا ؟..

– أقول أن لويز ما كانت لتطرق الباب وإنما تستخدم مفتاحها ..

ظهر المسدس فى يد المرأة كما لو بفعل سحر وأدرك هارى أنها كانت تخفية منذ البداية ، كان مسدسا صغيرا إذا التصق بصدر الرجل صدر عنه صوت مكتوم يبدو أشبه بالسعال وسألها :

– ماذا تريدين ؟.

– نقود .. عشرة آلاف دولار ..

كانت المرأة قد أستعادت صوتها الطبيعى ، وفجأة أختلف هذا الصوت عن الصوت الذى يعرفه للويز ..

وتقدم خطوة نحو المسدس ، وفى نفس اللحظة رأى المسدس يبعث بريقا وأحس بالرصاصة تصيبه فى جنبه ورأى فى نفس اللحظة كاتر يهجم من مكان ما على المرأة ..

قال هارى فى غباء وهو يحس بالدم يسيل قطرة قطرة خلال قميصه :

– لم أكن أظن أنها ستطلق النار ..

وكان كاتر قد انتزع المسدس منها ، وأمسك بيد من حديد بالمرأة التى وقعت فوق الأرض لكى يضع فى يديها الأصفاد ..

وقال :

– إنها قتلت شو فلماذا لا تقتلك أنت أيضا .

وساعد المرأة على الوقوف أخيرا واستدعى سيارة أسعاف ثم قال :

– قلت لك إن الموتى لا يخرجون أبداً من قبورهم ونظرت روزى إليهما معاً ثم بصقت ..

قضى هارى بضعة أيام أخرى فى المستشفى ، وعندما استيقظ فى أول

صباح خيل له أن شيئا من ذلك كله لم يحدث ، وأن كل ذلك لم يكن غير كابوس طويل ، ولكنه عندما رأى الرقيب كاتر جالسا بجوار فراشه أدرك أن كل ذلك كان صحيحا .

وقال كاتر :

- إن الفتاة مجنونة تماما .. كيف كانت تتصور أنها تستطيع أن تتخلص من كل هذا ؟..

أجاب هارى :

- إن الغلطة غلطتى شيئا ما ، فإننى عندما رأيتها لأول مرة حسبتها لويز ورويت لها كل شئ ، ولما قلت لها أن بيتى أنجورا تعتقد أن لويز حية قررت أن تستفيد من ذلك .

هز كاتر رأسه وقال :

- وهى قد قرأت الجرائد وعرفت أن لويز كانت ثرية ، وأظن أنها قررت فى تلك اللحظة أن تقوم بدور زوجتك ، وأن تجعلك تعتقد أنها لا تزال حية وهى خطة لا بأس بها فأرسلت إليك الرسالة والبرقية لكى تطلب منك نقودا وكان يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ، وقد أرادت أن تستخدم ليستر كوسيط لأنها حسبت أنها ستتمكن من خداعه بتنكرها.

- ولكن كيف عرفت اسم شو .. أنها تحدثت عنه فى برقيتها ؟.

- هذا أمر بسيط ، فقد تبعتك يوم الاثنين لكى ترى رد الفعل بعد استلامك رسالتها الأولى ، ولا ريب أنها كانت تضع على رأسها باروكة ، ولا تنس أنها اشتغلت بالتمثيل ، ومهما يكن فقد رأتك فى المطعم تطلع شو على

الرسالة ، وأنت نفسك تقول أن تلك الرسالة بقيت لحظة بينكما فوق المائدة واستنتجت المرأة من ذلك أن شو صديق لك ، وأنك توليه ثقتك بحيث يمكنك أن تعهد إليه بالنقود من أجل لويز .

وراحت تتبع شو بدوره ، وعرفت اسمه ، ثم أرسلت إليك البرقية ، ولويز الحقيقية ما كانت لتوقع باسمها كله على هذه البرقية طبعا ولكن روزى بيتس فعلت ذلك .

– وكنت من الغباء بحيث أرسلت ليستر إليها .

– لا تلم نفسك ، فقد حسبت أنها تستطيع خداع شو بتنكرها وشعرها المصبوغ طبقا للون الذى رأته على شعر زوجتك فى الصورة ، ولكنها لم تفلح فى ذلك فإن شو رأى جثة لويز فى العربة وكان يعلم بكل تأكيد أنها ماتت فأمسك بروزى فاستولى عليها الفزع وقتلته .

– وكيف خطر لها أنها تستطيع خداعى أمس مع أنها لم تستطع خداع ليستر ..

– كانت تأمل أن تتمكن من بلبلتك بحيث تعطيها النقود ، وما كان يهمها ما يحدث بعد ذلك ، وأظن أنها كانت ستقتلك ، فإن جريمة القتل الثانية أسهل كثيرا من الجريمة الأولى .

قال هارى :

– كان تنكرها متقنا ، ولكنها لم تستطع تقليد الصوت كما ينبغى ، لأنها لم يسبق لها أن سمعته أبدا .

– إنك فاجأتها عندما ذهبت إلى مسكنها يوم الثلاثاء بعد أن غسلت

شعرها وأزالت عنه الصبغة .

وأضطرت أن تشير إلى المجلة التى نشرت صورة زوجتك لأنها خشيت أن تكون رأيتها ..

قال هارى :

– كنت تعرف أنها لست لويز ؟..

– نعم كنت قد كونت لى فكرة عن القصة كلها ، فقد وصف أوتو كارى بائع الجرائد المرأة التى رآها ، وقال أن لها شامة على خدها الإيمن ، وكان هذا يطابق الصورة الموجودة فى المجلة ، ولكنك قلت لى أن الصورة السلبية لهذه الصورة وضعت بالمقلوب وأن الشامة موجودة حقا على خدها الإيسر ، وعرفت من ذلك شيئين أولا أن تلك المرأة لم تكن لويز ، وإنما امرأة متنكرة فى صورتها ، وثانيا أن تلك المرأة لم تكن تعرف زوجتك ، وإلا لما أخطأت فى موضع الشامة ، وهذه النقطة الأخيرة أبعدت الشبهة عن كل صديقاتك ، واتجهت شكوكى على الفور نحو المرأة الوحيدة التى طبقا لأقوالك تشبه لويز ،والتى تشتغل فى نفس الوقت بالتمثيل ..

– لهذا السبب لم يعرفها أتو كارى عندما رآها من غير شامة وبشعر آخر مختلف اللون ، وهل كنت تتوقع منه غير ذلك وهو لم ينظر إليها إلا نظرة عابرة ..

– ولكن روزى بيتس تنكرت طبقا للصورتين ألم تكن تستطيع معرفة مكان الشامة الحقيقية من الصورة التى أخذت للويز بالألوان .

هز الشرطى كتفيه :

– لاريب أنها خمنت من منهما الصحيحة وأساءت التخمين ..

وأراد هارى أن يلقى سؤالا آخر قال :

– ولكن من التى رأتها بيتى أنجورا فى حديقتها غداة يوم الحادث ؟ لا يمكن أن تكون قد رأت روزى .

قال كاتر :

– لن أرد على هذا السؤال يا مستر جوردون فما أنا إلا شرطى ، ربما لم تر إلا ما أرادت أن تراه ، فى المنام أو فى شئ آخر ، وكانت هذه الرؤيا سبب كل ما حدث ..

لم يمش هارى فى جنازة ليستر شو فقد كان لا يزال فى المستشفى وخرج منها فى اليوم التالى لتشيع الجنازة ، وعندما ذهب لزيارة موربيل لم يجدها فى البيت ، وخطر له أن يمضى إلى بيت آل أنجورا ، ولكنه رأى أخيراً أن ينتظر فإن لويز ماتت حقا وأمامه الآن كل حياته لكى يألف هذه الحقيقة .





كان من الجائز أن تكون الطفلة الصغيرة نائمة لأنها كانت راقدة بغير حراك ، مطبقة العينين وقد انساب شعرها الأشقر على كتفيها وانثنت إحدى قدميها خلفها فى حين تقوست الأخرى بصورة خفيفة وبجوارها " فردة " صندل جلدى ، وثوبها القصير الأنيق لا يكاد يصل إلى ركبتيها وقد تناثرت حولها وفوقها أوراق شجر القرانية ، وفى شعرها زهرة كبيرة .

وانحنى ملفين تاتل المعروف باسم ليمبو بين أصدقائه وراح ينظر إليها مليا ، ولم يلبث أن اعتدل واندفع يركض فى الطريق المنحدر المعروف باسم " طريق العشاق " والمؤدى إلي بيته وصرخ وهو فى شدة الانفعال " بابا بابا .. هناك طفلة صغيرة فى الغابة وهى لا تريد أن تصحو ".

– ماذا تعنى بأنها لا تريد أن تصحو ؟.

– أنها لا تتكلم .. لقد لمستها وقلت لها "استيقظى أيتها الطفلة الصغيرة" ولكنها لم تتحرك .

نظر البيرت تاتل إلى ابنه كان يتفق أن يروى قصصا لاجتذاب الاهتمام إليه ، فعلى الرغم من أنه بلغ السادسة عشرة من عمره إلا أنه احتفظ بعقلية

صبى فى السابعة ، ولكنه لم يحدث أبدا أن تسبب فى آية مشاكل أو متاعب لوالديه ، ومع ذلك فإن مستر تاتل كان يشعر فى قرارة نفسه بقلق مبهم ، فقد قبل الطفل المتخلف الذى أنعم الله به عليه راضيا بإرادة الله ، وكان يقول طواعية :

– لابد فى هذا العالم من شخص يتكفل بالأطفال المتخلفين ، ولعل الله اختارنا لأننا نتمتع أكثر من غيرنا بصبر وأناة كبيرين وقال :

– تعال يا ليمبو .. سآتى معك لعلها ليست أكثر من نائمة ولعلها أستيقظت الآن وأنصرفت .

أجتاز الأب والابن المسافة القصيرة التى تفصلهما عن الطريق وتؤدى إلى البقعة المشجرة والمعروفة باسم غابة جنكينز .

وكان أمامهما نحو أربعمائة متر ، وكان كل منهما مبهور الأنفاس عندما بلغا المكان الذى به الطفلة .

وانحنى تاتل بجوارها ، وأخذ يدها ، وكانت بارده ونبضها متوقف ونظر إلى ابنه وهو يرتعش وقال :

– إنها ماتت هل فعلت بها شيئا ياليمبو ؟.

– كلا يا بابا .. لاشئ ، لم أفعل شيئا ، أؤكد لك أنني إنما وجدتها هنا حيث هى ، لا تنظر إلى هكذا يا بابا ..

وراحت عيناه تتوسلان إلى أبيه ، وكان قد سبق له أنه وضع صبر أبيه أمام محن كثيرة قاسية ، وكان يعرف جيدا النظرة التى تشير إلى العقاب المستحق .

ونهض تاتل وهو يترنح وقال :

– من الأوفق أن تقول لى الحقيقة يا ليمبو يجب أن نذهب فورا إلى الشريف ونخبره بالأمر .

وعاد من نفس الطريق الذى أقبلا منه ، على عجل وكان مستر تاتل يمشى هذه المرة فى المقدمة ، وليمبو يجر رجليه خلفه جرا وهو لا ينفك يقول أنه لمس الطفلة وهو يقول لها استيقظى أيتها الطفلة الصغيرة استيقظى .

كان مستر تاتل شديد الجزع كان يتألم من أجل هذه الفتاة ، ومن أجل أبويها اللذين لم يلبثا أن يعلما بالفاجعة التى انقضت على رأسيهما كان يتألم لسبب آخر أيضا ، كان يعرف أن الشك سيرقى إلى ابنه سواء كان مذنبا أم بريئا ، فقد كانت الأمور تجرى دائما هكذا ، فهم يتهمون ليمبو منذ طفولته بأنه أساء إلى زملائه وسرق أشياء ، ويتهمونه بكل شئ آخر يخرق القانون ، لم يكن له ابدا أصدقاء حقيقيون وكان الأطفال يسخرون منه ويتفكهون بإغاظته .

ووقف لكي ينتظر هذا الابن البدين الثقيل الحركة ذا العينين الزرقاوين الدامعتين ، سوف يذود عنه كما فعل دائما ، ويدرأ عنه الإساءات التى سيصبونها عليه ، وإذ اقترب ليمبو منه وهو يجر قدميه أحاط كتفيه بذراعه " كلا يا ليمبو ، لا أظن أنك فعلت هذا ، سأقول للشريف إن ابنى لم يستطع أن يفعل شيئا كهذا " ..

وكان وهو يتكلم يداعب بيده شعر ابنه الأسمر المجعد الذى لا يعرف المشط إلا فيما ندر .

وأخبر الشريف تليفونيا بما عثر عليه هو وليمبو فقال الشريف :

- لا تلمسا أى شئ أننا قادمون حالا ..

أعاد تاتل السماعة مكانها، ولأول مرة تحول إلى زوجته ، كانت تحدق فيه وقد ارتسم الخوف والقلق على وجهها بأجلى معانيهما ، وراحت تضطرب من أعلا رأسها إلى أقصى قدميها .

كانت امرأة ممتلئة الجسم ذات شعر أشيب ، تقدمت بها السن بحيث لا يمكن أن تكون أماً لطفل فى العاشرة ، فقد بقيت مدة طويلة لا تنجب أولاداً ثم حملت بليمبو وهى فى الأربعين .

وقالت :

- ليمبو إنك لم تؤذ هذه الطفلة الصغيرة ، أليس كذلك ؟.

- كلا يا ماما .. كلا ، قلت لبابا إننى لم أفعل شيئا ، رأيتها تحت الشجرة وكان يبدو عليها أنها نائمة ، يجب أن تقولى للشريف أنه ليس أنا ، فما كنت لأرضى أن الحق بها أى أذى .

غطت مسز تاتل وجهها بمئزرتها الملوثة بمربى التفاح التى كانت تقوم بإعدادها وراحت تبكى ، يا إلهى ! .. ساعدنا .. هذا أكثر مما نستطيع أن نحتمل .

وارتفعت أبواق السيارات وهى تقترب من البيت ، وأقبل الشريف جروير ونائبه بعد دقائق من الحديث التليفونى وأقبل بعده آخرون فى سيارتهم ولم يكن يقع فى قرية ويليامز بورت ، شئ يذكر فيها عدا بعض الحرائق من وقت لآخر .. ووقفت كل السيارات فى فناء بيت آل تاتل ، خمس

سيارات عدا سيارة الشريف نفسه .

وكان الشريف أول من هبط ، وكان تاتل واقفا ، مباعدا ما بين ساقيه ويداه فى جيوبه بجوار ابنه الذى راح ينتقل على رجليه الواحدة بعد الأخرى وقد تغضن وجهه لا من الخوف وإنما من الأنفعال ..

وقال الشريف :

– أين هى ؟. . هل تعرف من هى .

أشار تاتل بذقنه إلى الغابة وقال :

– هناك على مقربة من الغدير على بعد خطوات من طريق العشاق ، إننا لا نعرفها ولكنها طفلة ظريفة فى نحو التاسعة من عمرها ، وفتحت أبواب السيارات وخرج منها رجال ونساء وراحو يدورون هنا وهناك ، وأقبلت على تجمعهم سيارات أخرى وتوقفت ، ولم يلبث أن انضم إليهم أناس كثيرون كما هى الحال دائما فى مثل هذه الأحوال .

وصاح الشريف :

– اصغو إلى أن لدينا عملا شاقا ولسنا بحاجة إلى مساعدة أى منكم وإننى لأنذركم أنه إذا تبعنا أحد إلى الغابة فسوف نلقى القبض عليه ، هل فهمتم ؟ مات أندرسون ؟.

وتحول إلى حيث يقف هذا الأخير واستطرد :

– إننى أكلفك بمنع أى أنسان من الذهاب إلى الغابة .

وما كاد يفرغ من كلماته هذه حتى خلع شارته وعلقها على صدر أندرسون ثم قال :

– هلموا بنا الآن ..

وسار تاتل فى المقدمة ليرشدهم إلى الطريق وخلفه ليمبو ثم الشريف ونائبه ، وكان الشريف يحمل غطاء أما نائبه فأخذ معه أدوات التصوير وراحو يتقدمون دون أن ينطق أحدهم بكلمة ، وكانت الأخشاب الجافة تتكسر تحت أقدامهم ، ولم يكن يسمع غير حفيف الأغصان وهم يدفعونها بأيديهم ليشقوا طريقهم .

خفض تاتل رأسه وقد تنازعته الأفكار ، كانت أفكاره تنتقل من الإيجابية إلى السلبية ، وكان يتلو صلاة صامتة ويطلب لنفسه الغفران ، للشكوك التى أنتابته نحو أبنه .

أما ما كان يدور فى رأس هذا الأخير فقد كان فى مقدور الجميع أن يفهموه ، فإن وجهه المنتفخ اضطرم لفرط أنفعاله ، وكان نائما على وجنتيه وفوق شفتيه العليا زغب خفيف ولكن بشرته كانت أشبه ببشرة الأطفال ، ولم يسبق أن حلق ذقنه قط .

وبلغوا الغدير وقال ليمبو :

– هنا أيها الشريف هنا تحت هذه الشجرة .

وقال الشريف وهو يفلت الغطاء من يديه :

– ارتدوا جميعا ..

ومشى نحو المكان الذى فيه الطفلة واحنى ركبته وألقى يده على يد الطفلة وكانت يداه هو مثلجتين ومبتلتين من العرق ، وقال يحدث نفسه : " كان يمكن أن تكون ابنتى .. ياللطفلة المسكينة البريئة أى شيطان مريد

ارتكب هذا العمل الفظيع ..

وصاح بالآخرين قائلا :

- إنها ماتت فعلا ، ولكن سيكون من اليسير أن نعرف من هى بفضل هذه الكتب التي استعارتها من المكتبة العامة ولا ريب أن بطاقة اشتراكها فى داخل أحداها .

وغطى يده اليمنى بمنديله قبل أن يرفع غلاف أحد الكتب ولكنه لم يجد به شيئا ، وتحرك إلى اليسار قليلا ، ورفع غلاف الكتاب الثانى وقرأ بصوت مرتفع :

- بيبى آلن .. هل يعرفها أحد ؟.

هز تاتل وابنه رأسيهما بالنفى ، ولكن نائبه قال :

- أليس هذا اسم مدرس العلوم الجديد .. أعنى ذلك الذى قدم حديثا؟..

أجابه الشريف :

- لا أدرى ولكن سوف نتحقق من ذلك من الذى أراد أن يقتل هذه الطفلة بحق الشيطان ؟..

وأشار إلى النائب لكى يقترب بمعداته ، وفى صمت التقط هذا الأخير عدة صور من جميع الزوايا ، ولم يلمس أحدهما أى شئ ، ثم مضى الشريف فى بطء وجاء بالغطاء وأسدله علي الطفلة بمساعدة نائبه ثم قال :

- ابق هنا يا أرث ، لا تدع أحدا يلمس أي شئ سأعود إلى عربة اللاسلكى وأطلب سيارة أسعاف لتنقل الطفلة ولابد لنا من شئ أيضا لكى نغطى الدراجة فقد يكون عليها بعض الآثار .

" أما أنت يا تاتل فتعال معى أنت وليمبو ، سيهيج الناس عندما يعرفون ذلك ؟..

وعاد الثلاثة عبر الغابة ، وعندما أوشكوا على الخروج منها قال الشريف يخاطب تاتل :

– اذهب رأسا إلى عربتى أنت وابنك واصعدا إليها ،لا تقولا أى كلمة لأحد ما ، إذا ما عرف هذا الحشد من الناس ما حدث فقد يقدمون على أى شئ ، ومن الأفضل لسلامتكما معا أن أحبسكما فى انتظار ما يسفر عنه التحقيق ..

وألقى تاتل وهو يمشى نظرة إلى بيته ، ورأى الستارة الجيبور تتحرك كان يعرف أن زوجته تقف خلفها ، وهى تكاد تموت من الخوف والقلق ، وكان الشريف يضع يده على قبضة مسدسه ، بينما صعد الأب والأبن إلى السيارة .. وصاحت الجموع المحتشدة :

– ماذا حدث ؟ إذا لم تقل لنا ذلك فسوف نعرف ، وإذا كان ليمبو قد الحق الأذى بأحد فأننا نريد أن نعرف .

صاح الشريف :

– اسمعوا .. أنا الذى يأمر هنا ، وأنى أمنع أيا منكم من أبداء حركة إلا إذا كان يريد قضاء الليلة فى السجن ، أما ما حدث هنا ، فلا أستطيع أن أخبركم بذلك .. الآن على الأقل والآن عودوا إلى بيوتكم فلا يوجد هنا ما تفعلونه .

وكان الناس قد زاد عددهم ، وارتفعت صيحات الغضب من كل مكان وجلس تاتل وليمبو فى المقعد الخلفى للسيارة ، وجلس الشريف أمام مقعد

القيادة ، ثم رفع الزجاج لكى لا يسمع أحد ما يقول ، وطلب سيارة أسعاف وارتد بسيارته إلى الخلف قليلا لكى يستطيع أن يهبط المنحدر ، وفجأة أدرك الناس ما يريد فأحدقوا بالسيارة وأمسكوا بمقبضى البابين وصاحوا :

- ما الذى حدث ؟.. هل قتل ليمبو أحدا ؟..

واستولى الغضب على الشريف عندئذ ، وحرص على حماية الشخصين اللذين يرافقانه ، وبدلا من أن يرتد إلى الخلف انطلق إلى الأمام فابتعد الجميع ، خوفا من أن تدهسهم السيارة ، وبلغ الشريف الطريق وكانت الرحلة سريعة كثيرة الاهتزاز .

ونظر تاتل مرة أخيرة إلى بيته ، محاولا أن يرى زوجته ولكنه لم ير غير الأبواب والشبابيك المغلقة ، وبدأت عندئذ سلسلة من ليال لا يغمض فيها جفن ومشحونة بالآلام المبرحة .

كان تدآلن وزوجته مارسيا أقبلا للأقامة فى وليمسبورت منذ ثلاثة أسابيع ومعهما ابنتاهما ديبى وكارولين ، يتمنون كلهم حياةً آمنة فى هذه المدينة الصغيرة ، وكان تدآلن قد عرضت عليه عروض كثيرة بصفته مدرسا للعلوم وكان رجلا هادئا مسالما بطبعه ، فى الثامنة والثلاثين من عمره ، أشقر الشعر ومحدوب الظهر شيئا ما ، وكانت زوجته تصغره بأربع سنوات وكانت زوجة وفية مخلصة تعيش فى سعادة تامة وكانت بشعرها الأسمر وسماتها الرقيقة جميلة جدا وكانت كارولين صغرى ابنتيها ، فقد كانت شيطانة صغيرة تتقد ذكاء ، وتملك موهبة كبيرة فى التقليد والمحاكاة تحيل مائدة الطعام إلى مسرح حقيقى يسوده المرح والسرور.

أما ديبى فكانت صورة من أبيها ، كبيرة بالنسبة لسنها ، وضاءة المحيا شقراء الشعر ذات عينين زرقاوين ولكنها مع كل هذا خجولة مجتهدة ومهذبة ومطيعة .

عرف الشريف جروبر كل هذه التفاصيل من ناظر المدرسة قبل أن يذهب إلى آلن ، وظل يحدث نفسه طول الطريق فيقول :

– يالها من مهمة شاقة لا أستطيع منها فكاكا ..

وعندما اقترب من بيت آلن رأى رجلا وامرأة فى الفناء الخلفى يلاعبان كلبا ذا وبر طويل ، ويضحكان لوثباته التى يقوم بها ليسترعى اهتمامهما .

وتنهد جروبر وأوقف سيارته وهبط منها ، ونظر إليه الزوجان فى شئ من الدهشة ، ثم أخذ كل منهما بيد الآخر وتقدما للقائه ، وشد الشريف على يد كل منهما فى حرارة ولكن على شئ من المضض ثم بسط لميستر آلن بطاقة المكتبة وقال :

– هل تعرف هذه ؟ وكان رد الفعل سريعا فقد قالت مارسيا :

– هذه بطاقة ديبى ، هل وقع لها حادث ؟

ونظرت إلى الشريف فى قلق تحاول أن تجد فى وجهه ردا ، وقد تقلصت يدهاعلى ذراع زوجها .

وأخبرهما جروبر بما حدث بقدر ما استطاع من هدوء .

أخفت مارسيا وجهها بين يديها وقد سرت فى بدنها رعشة من الانفعال وقالت :

– كلا .. كلا ..لا أريد أن أصغى إليك ،لاريب أنك مخطئ لا يمكن أن

تكون ديبى ..

أما تد فراح يضغط على زوجته بين ذراعيه وقد شحب لونه ، بينما راحت تضرب صدرها بيديها الاثنتين وتمتم يقول :

- أهدئى يا مارسيا ، لاريب أن هناك خطأ لا داعى لكل هذا الذعر قبل أن تتأكدى .

وأخذها بحزم إلى البيت ، وعيناه مغرورقتان بالدموع وتبعهما الشريف وانتظر بعتبة البيت وقبعته فى يده وقال :

- سأعود بعد ساعة فلابد من التعرف على الجثة ، هل تظن أن باستطاعتك أن تجد شخصا يستطيع أن يعنى بزوجتك .

هز تد رأسه وقال :

- ربما تستطيع ميدج أيفانس زوجة زميل لى ذلك ، سأتصل بها تليفونيا إنهما لا يقيمان بعيدا وإذا لم أجدها فى البيت فسأستدعى جارتها راشل أرمسترونج .

هز الشريف رأسه وقال :

- يؤسفنى أننى جئتك بهذا النبأ ..

ثم أردف يقول :

- ويحسن بك أن تستدعى طبيبا لكى يعطى زوجتك مهدئا ، سوف أعود بعد قليل .

وعندما خرج كان الليل قد بدأ يهبط ، ورفع يده إلى حنجرته وظل يضغط عليها ، لم يعد بوسعه أن يكبح انفعاله أكثر من ذلك ، وارتسمت على وجهه

أمارات التعب والغضب ورفض تصديق الحقيقة ..

وما أن سرى النبأ فى المدينة حتى أخذ التليفون يصلصل فى مكتبه وسجلت كل كلمة ، سواء كانت مفيدة أم لا وأقبل الصحفيون من كل مكان وراء المعلومات عن الطفلة الصغيرة وصورها .

وأضطر آل آلن إلى رفع سماعتين عن التليفون للتخلص من الفضوليين وأرسل الشريف شرطيا لحراسة بيتهم وتأمين سلامتهم ، ولم تكن كارولين الصغيرة بالبيت بعد الظهر ولكنها جلست الآن وكلبها بين ذراعيها وقد دفنت رأسها فى وبره الغزير .

وتكلفت ميدج أيفانز بالقيام بالمكالمات التليفونية الضرورية وإعداد القهوة ، كما أعدت كوبا من الشيكولاتة الساخنة لكارولين وكان حزن الطفلة يعصف بالقلوب وكان أبوها قد جلس بجوارها ، وأخذ بيدها فى يده فى حين رقدت الأم فى الطابق العلوى تحت تأثير المهدئ ..

وكان الأب قد تعرف على جثة ابنته ، وحرر الطبيب الشرعى تقريره ماتت الطفلة مخنوقة ، ولكن دون أن تعانى أى ألم ، أما البصمات التى على الدارجة فلم يعرفوا إن كان لها وجود بعد ..

كانت هناك ثمة أشياء تثير حيرة الشريف جروبر ، فبناء على أقوال مستر آلن ، لم تكن ديبي تذهب إلى الغابة وحدها أبدا ، فقد كان المعروف أن بعض المتشردين يختلفون إليها فى بعض الأحيان ، ولهذا حذرت الطفلتان من الذهاب هناك .

وكانت ديبى على الخصوص تمتثل لنصائح أبويها ، وفى الساعة الواحدة من بعد الظهر استأذنت لكى تأخذ الدراجة وتذهب إلى المكتبة ، وطلبت من

أختها أن ترافقها ولكن هذه الأخيرة آثرت أن تلعب مع طفلة أخرى من بنات الجيران ، ولما لم تعد ديبى فى الساعة الثالثة لم يشعر أبواها بأى قلق لأنها كانت مجتهدة جدا وكانت تقضى أحيانا ساعات فى قراءة وكتابة كشوف بالكتب التى تنوى أستعارتها فيما بعد .

وكانت الطفلة الصغيرة مطيعة لأبويها جدا ، بحيث ما كانت لتوقف لكى تتحدث مع ليمبو أو لكى تتبعه وقد أحس جروبر بذلك جيدا ، ومع ذلك فقد بقى الفتى المشبوه الوحيد بالنسبة له وقد قام بتفتيش الغابة ولم يدع منها ركنا إلا وبحث فيه عن أى أثر ، ولكنه لم يجد شيئا ما ، واحتفظ جروبر بليمبو سجينا أما أبوه فقد سمح له بالعودة إلى بيته .

كانت معظم الأقوال التى جمعها لا تشير بأن ليمبو مشبوه فحسب ولكنها تؤكد جرمه وكانت المدينة كلها تغلى من الغضب ولم يعد لقرية ويلسبورت من حديث إلا عن الجريمة ، واحتجزت الأمهات أطفالهن فى بيوتهن وهن فى غاية القلق ، واستولت على الأهالى هستيرية جماعية وطالبوا الشريف بالاهتداء إلى القاتل بأى ثمن .

وفى صباح اليوم التالى نشر تقرير جاء فيه أنهم لم يعثروا على اية بصمات على الدراجة فيما عدا بصمات ديبى وأختها كارولين .

ورأى الشريف من الضرورى لحماية ليمبو أن يذهب به إلى شارلستون وهى مدينة مجاورة ، وذلك لكى يخضعه لتجربة مصل الحقيقة ،على الرغم من أنه كان يعرف أن مثل هذا المصل لن تكون له أية فاعلية مع شخص متخلف عقليا .

وفى اليوم الذى شيعت فيه الجنازة اختلط هو ورجاله بالجمهور

وفحصوا وجوه كل الموجودين على أمل اكتشاف أى دليل جديد وفى قرارة نفسه أحس الشريف أنهم يتهمون ليمبو ظلما ، ولم يصدق أن الفتى استطاع أن يقنع الطفلة بأن تصحبه إلى الغابة ؟ ولأى سبب ؟ لقد استبعد الفحص الطبي بصورة قاطعة أية علاقة جنسية ، ثم أن الحقد والغضب لم يكونا من خصال ليمبو ، فقد عرف بمرحه وغبائه ، ولم يتصرف أى أحد من الجمهور بطريقة تثير أية شبهة ..

وبعد أسبوع جاء التقرير الخاص بمصل الحقيقة ، وجاء به أن التجربة غير مقنعة ، واحتجزوا ليمبو فى شارلستون فى إصلاحية للأحداث نظرا لسنه ، وفى انتظار ذلك راح الناس يطالبون بالأهتداء إلى القاتل والقبض عليه ..

وأستجوب كل سكير معروف ، وكل متشرد ، وكل شخص له علاقة بآل آلن ، ولكن لم يسفر كل ذلك عن شئ ..

ومرت الأسابيع من غير نتيجة ما ، واضطروا إلى إطلاق سراح ليمبو أخيرا ولكنهم أرسلوه ، حرصا على سلامته إلى بيت أجداده وكانوا يستثمرون مزرعة فى مدينة أخرى ..

وذات يوم كانت ميدج أيفانس تشرب قدحاً من القهوة وهى جالسة أمام نافذة مطبخها ، وكان قد مر على وقوع الجريمة ثلاثة شهور ، ولم تكن ميدج تسمح لأولادها بالذهاب للعب فى الخارج بعد عودتهم من المدرسة ، وبدت المدينة أشد غضبا من أى وقت مضى ضد الشريف فقد كان الناس يريدون النتائج لا النظريات .

وبينما كانت ميدج تضع قدحها الفارغ ، رأت راشل أرمسترونج تخرج

من مطبخها ومعها سلة صغيرة بها ثياب مغسولة راحت تنشرها وكانت هذه مهمة عادية لربة بيت يمكن رؤيتها من جميع نوافذ مطابخ الجيران وتحركت قليلا على مقعدها وقد تذكرت أن لديها هى نفسها ثيابا بحاجة إلى الغسيل وعلى الرغم من أن راشل أرمسترونج كانت جارة ظريفة ، إلا أنها كانت خجولة ومنطوية على نفسها ، وقد بذلت ميدج جهدها لكى تنشئ معها علاقات ودية وكان بيتاهما متجاورين وفناء كل منهما يطل على فناء الأخرى وكثيرا مادعت آل أرمسترونج لمشاركتها فى نزهاتها .

وكانت راشل لا تزال تنشر غسيلها فى عناية ونظام ، الأغطية ، ثم ملاءات السرير ، ثم أكياس المخدات وقمصان زوجها البيضاء .

وتركت ميدج النافذة لكى تملأ فنجانها من جديد ثم عادت فجلست ونظرت إلى الخارج وكانت راشل قد عادت إلى الداخل وبين الغسيل المنشور كان هناك ثوب صغير جدا متناقض مع بقية الغسيل ، فقد كان ثوب طفلة ، وهى تعرف أن آل أرمسترونج لم يرزقا أطفالا ..

وبعد قليل ، فى أصيل ذلك اليوم ذهبت ميدج إلىَ راشل أرمسترونج لكى تعيد إليها كوبا من السكر كانت قد استعارته منها فى الأسبوع الماضى وصاحت راشل بها من الداخل :

– ادخلى إننى قضيت يوما مرهقا فقد فرغت من غسيلى وأكاد أن أفرغ من الكى .

– يجب أن آتيك بغسيلى إذن فإننى أراك مجتهدة راحت راشل تضحك وقالت :

– ليست كلمة مجتهدة هى الكلمة الصحيحة ، ولكن الملل هو الذى

يوفقني إلى العمل ، أظن أن من الأوفق أن أبحث لي عن عمل في المدينة.

– هذا ما سأفعله أنا نفسي عندما يكبر الأولاد ، فأن من رأيي أن الأم لا يجب أن تعمل في الخارج وأولادها مازالو صغارا .

– هذا رأيي أنا الأخرى ، عندما كنت صغيرة كنت أعود دائما إلى بيت شاغر وكنت أتألم كثيرا من هذه الوحدة ، وقد أقسمت أن لا أدع أولادى يشعرون أبدا بما كنت أشعر به .

– ولكنك لم ترزقى أولادا ياراشل ، أليس كذلك ؟.. إنك لم تتحدثنى عنهم أبدا على كل حال .

قالت راشل أرومسترونج في غموض :

– أولاد ؟.. كانت لي طفلة صغيرة .. كان أسمها ليزا .. وماتت ..

وأغرورقت عيناها بالدموع عند هذه الذكرى فصاحت ميدج :

– أوه .. إننى آسفة لو كنت أعرف لما تكلمت هكذا هذا هو السبب إذن في أننى أري بين الغسيل ثوب طفلة صغيرة لا يجب أن تحتفظى به ، فلا جدوى من إعادة الماضي إلى الحياة ، لماذا غسلته ؟.

– لأن الوقت حان لتطويل حاشيته مرة أخرى إنني أفحصه كل عام وبهذا أرى كيف كان يمكن أن تكبر ليزا إذا كانت لا تزال على قيد الحياة ..

قالت ميدج تحدث نفسها :

– مسكينة هذه المرأة ، كم يبلغ مقاس هذا الثوب ؟ أنه لطفلة في الخامسة أو السابعة من عمرها .. وندمت لأنها لم تفحص الثوب جيدا ونظرت إلى وجه راشل متفحصة ، كان قد عاد إلى هدوئه ، ولم تكن به أية

غضون امرأة جميلة جدا ببشرتها الجامدة وعينيها الزرقاوين ولكن بدا أن كل اتصال بينها وبين ميدج قد انقطع .

وفى صباح اليوم التالى اتصلت ميدج باستر بويد وقالت لها :

– استر ..أنك تعرفين جارتى .. راشل أرمسترونج ، أليس كذلك ؟.

– طبعا ، لماذا ؟..

– إنها تعيسة جدا وأريد مساعدتها ، ماذا لو ندعوها لمشاركتنا لعبة البريدج ؟ ويمكننا أن ندعو مارسيا .

آلن كذلك ، إن كلا من الاثنين فى حاجة إلى التسلية قليلا ..

– حسنا إن بينهما أشياء كثيرة مشتركة ، فكل منهما فقدت طفلة صغيرة بطريقة مفجعة ومن حسن حظ مارسيا أن لديها طفلة أخرى .

– استر ، كيف ماتت ليزا .. لم أكن أعلم حتى الأمس أنه كان لآل أرمسترونج طفلة ..

ورويت لها قصة الثوب وما ذكرته لها راشل فقالت استر :

– إن ليزا ماتت من نزيف على أثر استئصال اللوزتين ، وكان أمرا فظيعا لهما ، وللدكتور برسكوف المسكين كذلك ، فلم يكن حزنه بأقل من حزن والديها ، وكانت راشل موجودة ولم تكف عن قولها :

" أوقفوا الدم يجب أن توقفوا الدم " ، وكان لابد من ممرضتين لانتزاعها من جوار جثة ابنتها ، كان منظرا فظيعا كما يقل لى ..

– يا للمسكينة ! أليس غريبا أن تبدو غريبة الأطوار فى بعض الأوقات أذن ففى اليوم الذى دعوتها فيه هى وزوجها لكى يتعرفا بمارسيا وبدور

ابنتيهما لم تكف عن الاهتمام بديبى ولاريب أنها ذكرتها بليزا .

– كانت كل منهما شقراء ، وفى نفس السن تقريبا ، لو أنك رأيت ليزا يوم الجنازة .. كانوا قد ألبسوها ثوبا من الدانتللا الوردية اللون ووضعوا فى شعرها وردة ، كان يبدو كأنها ذاهبة إلى حفلة .

– هل تعرفين يا استر .. إن قصة هذه الوردة وراحت ميدج تعد على أصابعها وهى تقول مستطردة :

– أولا كانت هناك وردة فى شعر ديبى عندما عثروا عليها ، وقد وضعت لها راشل وردة أخرى فى اليوم الذى رأتها فيه عندنا ، وتقولين الآن أن ليزا ووريث التراب وفى شعرها وردة هى الأخرى .. ألا يوحى إليك ذلك بشئ ..

– كلا ، لماذا ؟.

– إننى لا أحقد على نفسى لهذا الخاطر الذى يدور برأسى ، ولكن فكرى معى يا استر كانت ديبى تحب راشل ولعلها قد قبلت أن تذهب معها إلى الغابة ربما لا لشئ إلا لكى ترى أشجار القرانية .

واتسعت عيناها فجأة وقالت :

– الا تفهمينى ؟..

– بلى ، ولكن قد لا يكون ذلك إلا مجرد صدفه ، أن راشل أرمسترونج لا يبدو عليها حقا أنها تؤذى طفلة عمدا .

– ولكن ماذا لو أنها لا تتمتع بكامل قواها العقلية .

– هل تظنين ذلك ؟.

– من يدرى ؟.. مهما يكن من أمر فإننى سأتحدث مع الشريف فى ذلك ،

إنه أرهق نفسه فى هذه القضية وأنت تعرفين كم من مرة ألقوا القبض على بعض المتشردين ، وهم يحسبون أنهم اهتدوا إلى المجرم .. حتى ذلك المسكين ليمبو ، إن أغلب الناس هنا ما زالوا يعتقدون أنه هو الجانى ولكنهم لا يستطيعون إثبات ذلك وأسوأ ما هناك أنه بحاجة إلي أبوية ومحظور عليه العودة ، هذا فظيع ..

– حسنا ، أتمنى لك التوفيق ، أرجو أن تكونى مخطئة .

– وأنا أيضا أرجو ذلك ، ما كان ليخطر لى أبدا أن أرانى ذات يوم متورطة فى هذه القضية .

لم تنتظر وليمسبورت كثيرا فقد انتشر النبأ انتشار البارود فقد ذهبت ديبى آلن وراشل أرمسترونج إلى الغابة معا لرؤية أشجار القرانية وهى فى أروع أزدهارها .

وقالت راشل :

– إننى رافقت ابنتى ليزا وقطفنا بعض الأزهار البرية ، ثم راحت حنجرتها تنزف من جديد ، وعندئذ وضعت يدى على حنجرتها لكى أوقف الدم .

وأردفت تقول فى براءة :

– وبهذا أنقذت حياتها .





كانت الشمس حامية وكان الرمل ساخنا ، وبسط كورى ذراعه اليسرى وتحقق من وجود الزلاجة التي جواره ، وأغمض عينيه وقد بدت له قطعة الخشب متينة ورقيقة الملمس وتمتم يقول :

– ما أنت إلا لوح خشبى ، ولكنك فى نفس الوقت أبى الذى لم أعرفه وأمى التى لم أطقها فى حياتى كلها ، والحياة غير الروتينية المتعددة الأشكال التى أحبها ، أنني أخذ الوقت كما يأتى ، أما الباقى فليذهب إلى الشيطان ..

أحس بأنه فى منتهى السعادة ، وكان قد هجر المدرسة الثانوية على الرغم من احتجاجات مدرسيه الذين قدروا فيه طاقة كبيرة من الذكاء تسمح له بالسعى وراء المركز الأول فى أى نوع من النشاط يقع عليه اختياره ، وعندما صارح أمه بأنه يرفض أن يتخذ له مهنة ، وأن يقوم بواجبه (كما كانت تقول له) ، نعتته بالجهل ، وعتبت عليه عدم شعوره بالمسئولية ، وعدم أهليته لا لشئ إلا الاختلاف إلى البلاج لماذا يحتد ؟ هل سأل أمه أن تلده كان قد قال لها :

– أننى لم أخلق لكى أكون مراجع حسابات .

كانت غير جديرة بأن تفهمه وكيف تستطيع ذلك وقد تقدم بها السن وأشرفت على الأربعين تقريبا أنها قضت حياتها كلها بقدر مايذكر تعمل فى نفس المصرف تعالج أكداساً من النقود دون أن تثرى .

البلاج مهما كان ساخنا أو رطبا والتزحلق على الماء ! كان ذلك بداية ووسط ونهاية كل شئ ، مع بعض الأصدقاء الذين يعتبرون مثله أن البحر والهواء والرمل والشمس هى الأدوات الوحيدة التى يمكن أن تصنع الرجل الجديد بهذا الأسم ، أما أن يحبو سائر البشر كالعبيد لا لشئ الا لكى يكون لهم الحق فى مسكن حقير وفى تناول المكرونة والفاصوليا يوميا وتحمل أعباء الضرائب والسياسة والأمراض ، وأن يتدافعوا ذات اليمين وذات الشمال لا لشئ الا الحصول على ما يشتهون إليه فهو عمل لم يخلق له .

أما الحقيقة الكبرى فهى المحيط والأمواج الهائلة ، ثم الهدوء العظيم عندما لا تكون به حاجة الا للعودة الى الشاطئ والتمدد ، وعندما لا تكون به حاجة إلا للانتظار ، وأحيانا يكون سطح البحر ساكنا متألقا بحيث يشعر بالرغبة فى ترك زورقه الصغير والمشئ على الماء ..

وداعب الزلاجة من جديد وقال :

– أنت طعامى وفراشى وسكنى أنت كل ما أحتاج إليه .. هذا اللوح الخشبى كان حبه الأوحد ، والشئ الوحيد الذى رضى أن يعمل فى سبيله والواقع أنه لكى يشتريه اضطر أن يقوم بغسل الأطباق ثلاثة شهور ، بعرق جبينه .

وكانت له أيضا صديقة صغيرة .. ملكة حقيقية فى التزحلق على الماء سهلت له الأمور كثيرا ، وطالما قال لها وهو يحتضنها بين ذراعية على البلاج فى الليالى الدافئة والقمر يرسل بنوره على قمم الأمواج وهى تتكسر على صخور الشاطئ :

– إن الرجل لا يعيش بالتزحلق على الماء فقط !..

وكانت بات قطعة من حياته حقا أهلها أغنياء كرماء غير متزمتين ، كانت تؤمن له طعامه وتعنى به ، وكانا ينطلقان معا فى سيارتها الفارهة بحثا عن شواطئ يمكن أن يستمتعا فيها بالتزحلق على الماء ، كانت مفتونة به ، وكان كورى يستمتع بالحياة حقا .. الحياة التى اختارها ، والتى لا تكلفه أية مشقة .. ولكن كان لا يزال أمامهما شئ أفضل ، فهما يرسمان الخطط والمشاريع للمستقبل ، فعندما تبلغ بات سن الرشد ستحصل على ربع مليون دولار خلفتها لها جدتها لأمها ولا يزال تحت يدى الوصى عليها حتى الآن ..

سيذهبان عندئذ إلى هاواى ، وسيستمتعان بالتزحلق فى خليج ويمبا وشاطئ سانسيت ، ثم يذهبان إلى استراليا ، ويتزحلقان من شاطئ كرونيللا وشاطئ دى وأى ، وسيذهبان إلى كل مكان يقهران المحيط وستكون لهما مطلق الحرية فى ممارسة رياضيتهما المحبوبة ، فيأكلان ويرقدان معا ويكون كل منهما للآخر دائما ، وكان كورى يعتبر أنه كسب المعركة ، فلم يكن هناك من يستحق أهتمامه بين كل هؤلاء الشبان الذين لا خير فيهم والذين يحومون حول بات ..

ولم يهتم كورى بما فيه الكفاية بومضات البرق الأولى التى هزت السحابة

السوداء الضخمة وسدت بها أفقه ..

ففى يوم أحد من شهر أغسطس ، أشبه بعشرات من الآحاد التى سبقته كانت الشلة المعتادة من الأصدقاء تجلس على البلاج ، وقد وضعوا الألواح الخشبية بجوارهم استعداد لاستئناف التزحلق ، وكان أحد الأصدقاء قد أتى بمشواة ، وراح يعد بعض السجق ، وقدمت البطاطس والفاصوليا فى أطباق من ورق ، وراح كورى يأكل فى هدوء ، وجلست بات بجانبه وراحت تنظر إلى المحيط دون أن تقرب طعامها .

وقالت وهى تضع يديها فوق عينيها لتحجب عنهما بريق الشمس :

– من هذا ؟..

وراح كورى يمضغ فى هدوء ، ثم ازدرد ما فى فمه وهو ينظر إلى حيث تشير ، ورأى علي سطح الماء المتألق شخصا يجدف فقال :

– لا أعرف ، لاريب أنه شخص يحسب نفسه ذكيا لكى يقدم عرضا والرفاق يستريحون ..

واندفعت نحو الشاب الذى يجدف موجة عالية فتلقاها كما يجب ، وتركها تمضى به نحو الشاطئ فى غير خوف ..

وقالت بات :

– آه .. يبدو لى أنه ليس بمبتدئ ، فقد تلقى الموجة كما لو أنه لا يفعل فى حياته غير ذلك ..

وتمدد كورى على ظهره ، بعد أن فرغ من طعامه ، وغلبه النعاس ، فلم يلحظ أن بات قد تركته وأبتعدت عنه .

وكانت بات تبدى أعجابها بكل الذين يجيدون ممارسة التزحلق فوق الماء والذين لا يخافون معالجة الأمواج الصاخبة الهادرة ولكنها شعرت بأنها عزلاء تماما أمام هذا الشاب الذى يضع قدماً ثابتة على الأرض الصلبة كان من نوع يختلف تماما عن كورى له شعر قصير ، وعينان فى زرقة السماء ، تكشف إبتسامته عن أسنان ناصعة البياض .

قالت تجامله :

– حسنا إنك تجيد المهنة .

جر زلاجته فى سهولة إلى اليابسة وقال :

– إن المحيط يبدو لى هنا على الشاطئ الكاليفورنى هادئا جدا بالنسبة لشواطئ استراليا ثم أن من المؤكد أنه لا توجد فى هذه الناحية أسماك القرش ..

وبسط لها يده وهو يقول :

– اسمى جون ..

ودعته لمشاركتهم طعامهم فأكل بعض السجق والفاصوليا ، وأخذا يتكلمان ، وقدمته للآخرين وبدا عليهم الاهتمام حين قالت لهم أنه يجيد التزحلق على الماء ..

وعندما استيقظ كورى وجد نفسه وحيدا ، وتمطى وجلس ونفض الرمل عن شعره القاتم المجعد ويحث عن بات ببصره ، ورأى الجماعة على الشاطئ المواجه وقد جلسوا فى شبه دائرة ، فمضى اليهم وعندما اقترب منهم سمع صوتا غريبا يتحدث عن فوائد وأضرار التزحلق فى شواطئ

استراليا ..

ورأى بات جالسة بجوار الشاب ، وقد أحاطت ركبتيها المرتفعتين بذراعيها فمضى وجلس بجوارها وقد أحس بضيق غريب وأحاط خصرها بذراعه ، فخفضت ركبتيها وأحاطت بذراعها كتفى كورى ، دون أن تغفل كلمة واحدة من حديث الشاب ..

كان يوم الأحد هذا يوم أسود بالنسبة لكورى ، فقد أظهر جون براعة كبيرة فى استخدام زلاجته ، واستأثر باهتمام الجميع ، واصطحب بات معه وأراها كيف تضع قدميها على اللوح بجواره ، ولو أن كورى هاجر إلى مكان آخر يبعد بألف ميل لكانت النتيجة واحدة .

ولم يكن كورى حتى الآن قد عانى أى فشل ، فقد كان يفعل ما يريد وكان لديه كل ما يريد وعندما عاتب على بات أهتمامها بجون ردت عليه الفتاة ردا لم يرق له ، وكان كورى يتملكه الحنق والغضب عندما لا يهتم به أحد ورأى فى لحظة خاطفة أن مشاريعه التى بناها لكى يعيش عيشة سهلة تتعرض للخطر ، واستولى عليه الخوف ..

وهاهو المارد الأشقر يظهر فى كل مكان يكون فيه مع بات ، ولم يلبث كورى أن عرف أنه ليس أمامه الا بضعة شهور لكى ينجح ، ويحصل على شهادته الجامعية ، وأنه ماأن يفرغ من دراسته حتى يجد وظيفته مساعد مدير فى انتظاره فى شركة أبيه ..

وكان جون دمث الأخلاق ،لا يفتقر أبدا إلى المال ، فلم يلبث أن أصبح قائد الشلة الصغيرة التى ظل كورى زعيما لها مدة طويلة بل الأخطر من هذا أن جون لم يكن يفارق بات بعينيه ، وأدرك كورى أخيرا فى لحظة

صحو أن بات وجون قد خلق كل منهما للآخر بينما انزلق هو الى عالم آخر غير عالمهما الثقافى والاجتماعى وكان رد الفعل الأول عنده أنه قال يحدث نفسه :

- إنني لا أحفل وماذا يهمنى من أمرهما ؟..

ولكن الواقع أن بات كانت فى دمه ، ولم يكن من السهل أن يتخلى عنها ببساطة ، وفى الليلة التى أقام فيها جون تلك الحفلة الصغيرة على الشاطئ وقدم فيها الشمبانيا والكافيار ، وانتهز الفرصة وغاب هو وبات ساعتين أحس كورى بالمرض .. وقرر فى تلك الليلة أن يخلى جون المكان ، إن طوعا وإن كرها ..

وكان كورى عريض الكتفين قوى الجسم ، ولكنه لم يخلق للشجار ، وكان يجاهر بعدائه لكل عنف ، ثم إنه كان يعرف أنه لو تحدى جون فى معركة فسينتهى به الأمر إلى أن ينهزم شر هزيمة ، ولهذا اختار حلا آخر سيحاول عند أول فرصة أن يتكلم مع غريمه بقلب مفتوح ، فإن جون يملك القوة والمال والمركز الاجتماعى ، ولن يكون من القسوة بحيث ينتزع من كورى حبه الأوحد وسبب وجوده فى الحياة ، وسيكون كريما بحيث ينسحب ..

وسنحت الفرصة التي طالما تمناها بعد بعد بضعة أيام ، وكان كورى قد قضى الليلة السابقة على الشاطئ وحده .. فغطى جسده بالرمل ، وأخفى رأسه خلف صخرة حتى لا يراه حرس الشواطئ وهم يقومون بداوريتهم ، وأيقظته الخيوط الأولى للفجر وهى تداعب جفنيه ، وأحس بقشعريرة ، فقد كان الجو رطباً ولم تكن الشمس قد بزغت بعد وكان يعرف أنه إذا أخذ الزلاجة ونزل البحر ، فإن هذه القشعريرة لن تلبث أن تزول وأن الدفء

سرعان ما يسري فى كيانه ..

وكانت بعض الأمواج الضخمة قد تجمعت مع مد الصباح ، وعرف كورى كيف يتلقاها ويقهرها ، وحلقت بعض طيور النورس فوق رأسه ، فتمنى لها صيدا وفيرا ، وأحس عندئذ بأن الشاطئ كله ملكه ، فلم يكن هناك أحد غيره ، ولكن لم يلبث أن رأى عن بعد رجلا يحمل زلاجته ويهبط بها الشاطئ وراه كورى يغطس فى المحيط ، ثم يتسلق اللوح الخشبى ، ويدفعه نحوه كان ذلك الرجل هو جون نفسه وبدأة جون قائلا ، هاللو ..

ألقى كورى نظرة حوله كان المحيط شاغرا ، فأجاب على نداء جون وفى قلبه صراع عنيف ، فليس من السهل أن تطلب من شخص أن يعيد إليك صديقتك بعد أن بدأ بمغازلتها .

ومر جون بيده خلال شعره المبتل وسرت فى بدنه قشعريرة وهو يواجه هواء الصباح وقال :

- هل الأمواج هادئة اليوم ؟..

فأجابه كورى وهو يعض على شفته العليا :

- بعض الشئ أريد أن أحدثك فى أمر يا جون ..

- تكلم ..

وأدار زلاجته نحو الشاطئ وهو يقول :

- إننى أنتظر بات ما بين لحظة وأخرى ..

قال كورى :

- إنني أريد أن أحدثك عنها بالذات إن هناك اتفاقا بينى وبينها .. وهى

صديقتى ..

قال جون وهو يبتسم فى تسامح :

– ولكنها لم تقل لى شيئا من هذا ، ثم إنها لا تلبس أى خاتم خطوبة ..

عرف كورى بهذه الطريقة رأى غريمه فيه ، فهو يعتقد أنه لا يصلح لأى شئ وأن من الممكن طرده فى أية لحظة ، كما يطردون ذبابة خضراء ، ولم يكن كورى قد تساءل بعد إذا كان هذا الشاب القوى الأشقر ، ولكنه تأكد فى هذه اللحظة أنه يمقت ذلك الشاب الذى يملك كل شئ ، ولا يقنع فيريد المزيد .

ورأى المحيط يتضخم ليقذف بموجة عالية رأى جون رافعاً عينيه نحو الشاطئ يترقب ظهور بات من لحظة لأخرى ، فتوتر ، و هجمت الموجة عليهما فغمرتهما معا وانتزعت زلاجتيهما وجرتهما معا ، وأخرج كل منهما رأسه من الماء فى نفس الوقت وأخذ يتنفسان ويبصقان الماء المالح واستعاد كورى لوحه ، أما لوح جون فكان يجرى نحو الشاطئ ، وراحت رأس الشاب الأشقر تهبط وتعلو مع الأمواج على بعد نحو عشرة أمتار من كورى ، وراح جونى يسبح لكى يسترد لوحه ، ولمس كورى طرف زلاجته وأمسكها بيده الاثنين كما لو كان يمسك بمقبض مسدس ، وصاح :

– جون ! .

تحول الشاب إليه ليرى ماذا يريد ، وفى نفس اللحظة ضربة كورى بحافة اللوح ضربة قوية فى جبينه ، بين عينيه .

وظهرت الجريدة المحلية فى صباح اليوم التالى وفى العمود الثانى من

صفحتها الأولى هذه البرقية :

- شاب رياضى يصاب بحادث قاتل ، وقد صعق الشاهد الوحيد وتسمر فى مكانه ، والشاب الذى راح ضحية هذا الحادث كان محبوبا من الجميع وكان المستقبل مفتوحا أمامه ..

وروى كورى ما حدث فقال :

- كانت الموجة عاتية ، بل كانت أعلى موجة رأيتها فى حياتى وقد قلبتنا معا وفقد كل منا زلاجته ، ورأيت لوحه يندفع نحوه كالسهم ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها رأسه فوق الماء ، وكنت بعيدا عنه لسوء الحظ فلم أستطع أن أفعل شيئا ..

عادت بات إليه ، وكان ذلك فى شهر سبتمبر ، وكان الصيف الهندى جميلا وكان الشاطئ كله ملكا لكورى وحده ، وكان أغلب أعضاء الشلة قد عادوا الى مدارسهم ، وكانت فرقة الأمن لا تقوم بداورياتها طوال أيام الأسبوع كما كانت تفعل من قبل ، وكان كورى يعرف أن بات سينتهى بها الأمر إلى أن تخمن الحقيقة لأن الحقيقة لابد أن تظهر ذات يوم ، وفى ذلك اليوم جاءت بسلة تحتوى على طعامهما ، وتمددت بجواره وراحا ينتظران فى صمت شروق الشمس الذى لن يلبث أن يصبغ المحيط باللون الأبيض والبرتقالى .

وقال أخيرا فى لهجة مرحة :

- هلمى بنا .

- حذار يا كورى فهناك سمك القرش فى هذه الناحية ، وقد ذكرت الجريدة ذلك .

ولم تبد عليها أية رغبة فى الحركة واستطردت :

– إنه سمك قادم من باجا ، فالمحيط هنا أكثر دفئا من هناك ، ثم إنها تطارد بعض الطيور البحرية التى تلجأ إلى هذا المكان .

نهض كورى ومضى إلى المحيط ، وهو يعرف أنها لن تلبث أن تتبعه والواقع أنها تبعته وهى تحمل لوحها الخفيف تحت أبطها .

وتمدد كورى على لوحته ، وراح يهنئ نفسه لأن الحال استقام له ، وراح اللوح يعلو ويهبط مع حركة الموج ، ولم تكن بات قد فارقته لأنها كانت تتبعه وقد وقفت فوق لوحتها مباعدة بين ساقيها ، وهى تنظر إلى الأمام ناحية الصخور :

– كورى !..

– نعم ..

– أنني فكرت طويلا فى هذا الحادث ، وفى الطريقة التى وقع بها وفى الحديث الذى دار بينكما .

– انسى كل هذا ، وقال يحدث نفسه : تبا للنساء !.

– كان جون قد طلب منى أن أتزوجه ..

بقى كورى مطبق العينين ، لم تعد تهمه الآن الموجة المقبلة ، ولا سمك القرش ، ولا أى شئ آخر ، كان يجب أن يتكلم الآن وأن لا يخطئ يجب أن يعيدها إلى الطريق الحق نهائيا .

وقال أخيرا :

– تحدثنا فى ذلك الصباح عنك أنت وأطلعته على ما بيننا فاعتذر

لمحاولته مغازلتك وأكد لى أنه كان على جهل بالعلاقة التى بيننا وأنه كان حسن النية ، وأضاف فقال :

– إنك لست فى نظره غير فتاة جميلة وإن الفتيات الجميلات كثيرات فى العالم وكان ينظر إلى الشاطئ ويرقب قدومك ولهذا السبب لم ير الموجة وهذا كل ما أستطيع أن أقول ..

وارتفع صوت بات فغطى بدويه على صوت البحر وقالت :

– أنت كذاب .. كذاب .. كذاب ..

وأخذت حجرا ضخما ورفعته فوق رأس كورى وضربته به .. ضربته بكل قواها ثم أمسكته من شعره الطويل المجعد ودفعت برأسه تحت الماء وبقيت هكذا طويلا .. طويلا ..

وكانت لوحة كورى تجرى فوق سطح الماء وقد خلت من صاحبها ولم تلتفت بات لكى ترى جثة كورى تطفو على سطح البحر ، أما الحجر فقد غاص فى القاع .

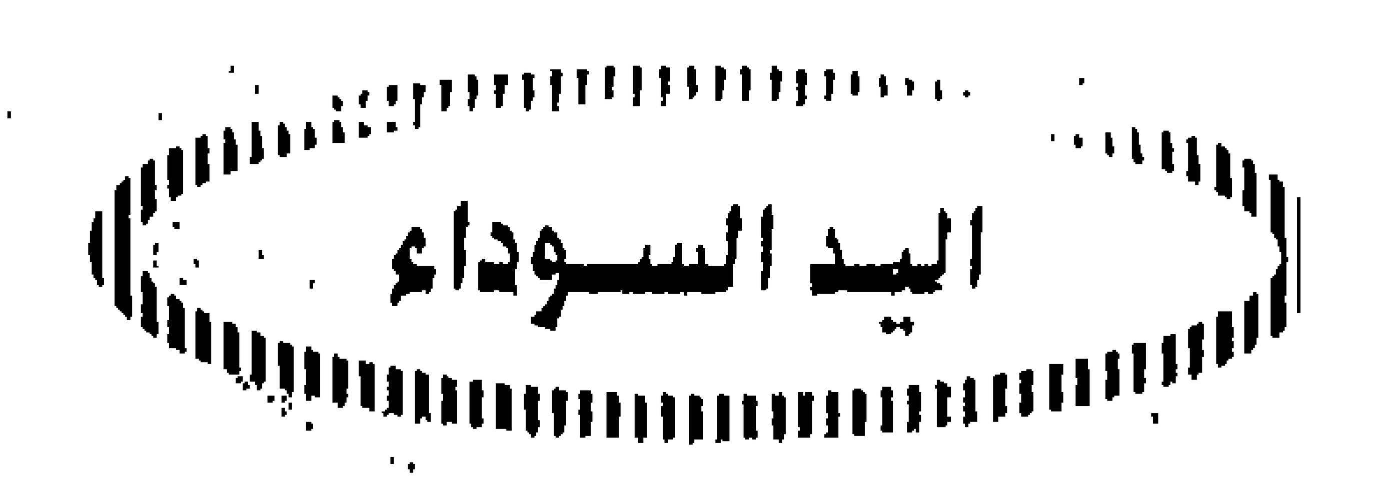
وعادت بات إلى الشاطئ ، ثم أخذت لوحتها تحت أبطها ، وصعدت السلم الخشبى المؤدى إلى الطريق العام .. ووضعت اللوح فى مؤخرة سيارتها وانطلقت .

ونشرت الجريدة المحلية النبأ فى صباح اليوم التالى فقالت :

" رياضى يلقى مصرعه قضاء وقدرا "

ولم يهتم أى أحد بهذا النبأ .





كان الحديث يدور منذ وقت طويل حول الجرائم المجهولة والجرائم التى أفلت أصحابها من العقاب .

وراح الجميع يدلون بآرائهم ، الواحد بعد الآخر :

الكولونيل بانترى وزوجته الممتلئة الظريفة وجين هلييه والدكتور لويد وحتى مس ماربل ، أدلت برأيها هى الأخرى ، ولم يشذ عن القاعدة الا سير هنرى كليثنج المدير السابق لادارة أسكوتلانديارد والمحال الى المعاش منذ بضعة شهور ، فالتزم الصمت وأكتفى بأن راح يداعب شاربه ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مرحة .

وصاحت مسز بانترى تقول :

– سير هنرى .. أشعر أنني ساصرخ إذا لم تقل شيئا .. هل هناك جرائم أفلت أصحابها من العقاب حقا ؟.. نعم أم لا ؟.

– أرى أنك تفكرين فى العناوين الضخمة التى تصدر بها جرائد المساء " أسكوتلانديارد تفشل مرة أخرى !".

ثم يلى ذلك قائمة بالجرائم التى لم يهتدوا إلى مرتكبيها بعد ..

قال الدكتور لويد فى رفق :

– ولكننى أعتقد أن النسبة المئوية التى يتوصلون إلى معرفة مرتكبيها ضئيله جدا .

– طبعا ، طبعا ، ولكن الجرائد لا تفيض فى الحديث عن مئات الجرائم التى تكشف أسكوتلاند يارد ، غوامضها وتلقى القبض على مرتكبيها ولكننى أظن أن هذا ليس هو المهم ، فإنكم حين تتكلمون عن شيئين مختلفين كل الاختلاف فيجب أن نجمع فى المجموعة الأولى كل الجرائم التى لم تسمع عنها أسكوتلانديارد، بل حتى التى لم يسمع عنها أحد أطلاقا .

صاحت مسز بانترى :

– ولكننى أظن أنه ليس هناك جرائم كثيرة من هذا النوع .

– حقا ؟.

– لا أخالك تريد أن تقول العكس يا سير هنرى ؟.

تدخلت مس ماربل فقالت فى لهجة حالمة :

– إننى أميل إلى الظن أن هناك جرائم كثيرة جدا من هذا النوع أبدت العانس الظريف العجوز هذه الملاحظة المدوية بكل هدوء ، وابتسم الكولونيل بانترى وقال فى تسامح كبير :

– أنك تبالغين يا عزيزتى مس ماربل ..

ولكن هذه الأخيرة استطردت تقول دون أن تتأثر :

– هناك طبعا أناس كثيرون مغفلون والمغفلون يفتضح أمرهم مهما فعلوا ولكن هناك أيضا كثيرين غير مغفلين وإنني لا أقشعر حين أفكر فيما يمكن أن يقدمواعليه لو لم تكن لديهم مبادئ راسخة .

قال سير هنرى موافقا :

– نعم هناك كثيرون يولدون أذكياء ، وكم من مرة اكتشفت جرائم نتيجة لخطأ ، وفى كل مرة نتساءل هل كان من الممكن أن نهتدى إلي القاتل لو أنه لم يرتكب هذا الخطأ .

تمتم الكولونيل متذمرا :

– ولكن هذا خطير .. خطير جدا .

– حقا ؟..

– ما الذى تقصده بقولك هذا ياعزيزى ؟ أن الأمر خطير طبعا .

– ذلك لأنك تفكر فى الجريمة التى أفلت صاحبها من العقاب يا بنترى .

ولكن هل هناك جرائم أفلت أصحابها من العقاب حقا ؟ أنا معك فى أنهم قد يفلتون من العقاب من الناحية القانونية ، ولكنهم لن يفلتوا من العدل الألهى ، فمن المأثور أن كل جريمة تجر قصاصها وراءها ، ومن رأيى أن هذا القول صحيح تماما .

قال الكولونيل بانترى موافقا :

– ربما ، ربما ولكن ذلك لا يقلل شيئا من خطورة الأمر وسكت كما لو أنه أصبح يهتدى إلي كلماته .

وقال سير هنرى كليثنج وهو لا يزال يبتسم :

– إن ٩٨٪ من الأشـخـاص يشاركونك شعورك هذا بلا ريب ، ولكن إذا أردت الحق فانما المهم هى البراءة وليست الجريمة .

قالت جين هلييه :

– إننى لا أفهم .. ماذا تعنى ؟..

تمتمت مس ماربل تقول :

– أما أنا فإنى أفهم ما يعنيه ، فعندما تحققت مسز ترنت من ضياع نصف جنية من محفظتها كانت خادمتها مسز آرثر هى التى تضررت من ذلك أكثر من أى شخص آخر ، لأن آل ترنت اشتبهوا فيها على الفور ولكنهم كانوا من الكرم بحيث لم يطردوها ، ولكن معاملتهم لها تغيرت عن ذى قبل ، وعندما رحلوا لقضاء الأجازة فى الخارج لم يكلفوها بحراسة البيت كما كانوا يفعلون فى السنوات الماضية ، الأمر الذى تسبب فى فرق كبير بالنسبة لها وبدأ الناس يشتبهون فيها هم الآخرون ، ولكن اتضح فجأة أن مديرة البيت هى المذنبة ، فقد فأجاتها مسز ترنت ذات يوم وقد عكست المرآة صورتها من خلال الباب الموارب وكان ذلك صدفة .. ولعل العناية الإلهية هى التى أرادت إظهار بزاءة مسز ترنت وأظن أن هذا ما يقصده سير هنرى ، فإن أغلب الناس يهتمون بالشخص الذى سرق المال فعلا وهو شخص كان فى هذه الحالة بالذات أبعد الناس عن الشبهات تماما كما يحدث فى الروايات البوليسية ، ولكن الشخص الوحيد الذى كانت هذه المسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة له كان تلك المسكينة التى لم تفعل شيئا ، هذا هو ما تقصده يا سير هنرى ، أليس كذلك ؟..

– أجل يا مس ماربل .. أنك وضحت وجهة نظرى تماما ، وقد حالف

الحظ خادمتك فثبتت براءتها ،وولكن مجرد شك جائر يذل الناس أكبر الاذلال طوال حياتهم .

سألته مسز بانترى قائلة :

– هل فى ذهنك حالة من هذه الحالات بالذات يا سير هنرى ؟..

– أجل صديقتى العزيزة .. أننى أعرف حالة من هذا النوع ، وهى فى الواقع قضية غريبة جدا ، فقد كانت كل الدلائل تشير إلى أنه كانت هناك جريمة قتل ولكن تعذر إثبات ذلك .

تنهدت جين هليه وقالت :

– لاشك أنه سم ...سم غريب لا يترك أى أثر تململ الدكتور لويد فى مقعده ، وهز سير هنرى رأسه وقال :

– كلا يا عزيزتى ، لم يكن هناك أى سم خفى من تلك السموم التى يستخدمها أهالى أمريكا الجنوبية ويدهنون بها سهامهم ، كنت أتمنى أن يكون الأمر كذلك ولكننا اصطدمنا بمشكلة أكثر ابتذالا .. بحيث لم تبق هناك أية فرصة فى أن نضع أيدينا ذات يوم على الفاعل فليس هناك أكثر ابتذالا من رجل حسن يقع من أعلى السلم وتشج رأسه ؟.. أن هذا يدخل ضمن الحوادث المؤسفة واليومية التى لا يمكن أن توصف بأنها جرائم قتل..

– ولكن ما الذى حدث بالذات ؟..

هز سير هنرى كتفيه وقال :

– وهل هناك من يعلم ؟.. ربما دفعه بعضهم من الخلف ؟ أو ربما وضع

سلكا أو قطعة من الدوبارة ممدودة فوق أعلى السلم ثم أزالها بعد ذلك .. لن نعرف ذلك أبدا .

سأله الدكتور لويد :

– وما الذى حملك إلى الظن منذ ذلك الوقت حتى الأن إلى أن الأمر ليس مجرد حادث .

– أنها قصة طويلة ولكن حسنا نعم كنا شبه متأكدين من أن هناك جريمة قتل ، ومهما يكن من أمر ، وكما سبق أن قلت لكم ، فإن الفرصة ضئيلة جدا فى أن نكتشف الفاعل ، فأن شبهاتنا وحتى القرائن التى وجدناها كانت واهية جدا ثم هناك الجانب الآخر من القضية ، وهو الجانب الذى سأحدثكم عنه الآن ، فهناك أربعة أشخاص مشبوهون فى هذه القضية بينهم الجانى ، ولكن الثلاثة الآخرين أبرياء ، وما لم تسطع الحقيقة ذات يوم فإن ظل الشك سيبقى جاثما فوق رؤوس هولاء الثلاثة طوال حياتهم وليس هناك أفظع من الشك كما تعرفون .

أقترحت مسز بانترى قائلة :

– هذا صحيح ولكن من رأيى أن تروى لنا هذه القصة الطويلة الآن بعد أن أثرت فضولنا .

فكر سير هنرى فى صوت مسموع فقال :

– إذا أردت .. بل إننى أستطيع أن ألخص لكم بداية القضية إن هذه القصة تدور فى البداية حول جمعية سرية ألمانية عرفت باسم " اليد السوداء " ، وهى جمعية إرهابية كانت تقوم على التهديد والإرهاب عقب

الحرب ، واتسع نشاطها ، ووقع الكثيرون تحت سطوتها ، وعجزت السلطات عن تدميرها لأن أعضاءها كانوا يحتفظون بأسرارهم بكل عناية ، ولم يستطع أولو الأمر الاهتداء إلى عضو واحد على استعداد للغدر بأصحابة ..

وكنا فى انجلترا نجهل تقريبا كل شئ عن هذه الجمعية وعن أعمالها ، وامتد نشاط الجمعية السوداء كما قلت لكم ، وأصبح الجميع يخشون شرها ولكن انتهى بها الأمر إلى أن تفككت ، وذلك بفضل مجهودات طبيب مشهور يدعى الدكتور روزين كان له نشاط كبير فى قلم المخابرت الألمانية واستطاع أن يصبح عضوا فى تلك الجمعية ، وأن يعرف أدق أسرارها وأصبح بذلك أداة ضياعها .

ولكن أمره انكشف ، ونصحه أولو الأمر بمغادرة المانيا والبقاء بعيدا عنها فترة من الوقت على الأقل ، فأنتقل إلي انجلترا ، وأرسله إلينا بوليس برلين ومعه خطاب توصية ، وأستقبلته أستقبالا طويلا ، وكان انطباعى عنه من أحسن الأنطباعات ، كان هادئ الأعصاب ، متقبلا لمصيره فى نفس الوقت .

قال لى :

– إنهم سيقتلوننى يا سير هنرى وليس هناك أى شك فى ذلك ..

كان رجلا طويل القامة ، متين البناء ، له وجه وسيم تلوح عليه مخايل الذكاء ، ذا صوت هادئ عميق ، تشوبه لكنه أجنبية تكشف عن جنسيته ..

واستطرد يقول :

– وقد توقعت هذا الاحتمال حتى قبل أن أجند نفسى لهذه المعركة

وموتى لا أهمية له بل أنى على أستعداد لملاقاته وعزائى أن الجمعية لن تستطيع أن تنتظم من جديد ، ولكن ما زال بعض أعضائها ، وهم كثيرون ، ما زالوا أحرارا ، غير أنهم لن يستطيعوا شيئا أكثر من الانتقام منى وسلب حياتى ، والمسألة مسألة وقت لا أكثر ، وكل ما أتمناه هو أن تمتد هذه المدة أطول وقت ممكن ، فإننى أكتب مذكراتى وتتضمن حياة الكفاح ضد المجرمين من جميع الطبقات وثمرة خبرتى لأننى أظن أنها قد تفيد غيرى وأريد أن أتمكن من الفراغ من هذه المهمة قبل أن أموت .

كان يتكلم ببساطة وبصورة طبيعية بحيث لم يسعنى إلا الإعجاب به وأقنعته بأننا سنتخذ كل الإجراءات الكفيلة لتأمين أمنه وسلامته ، ولكنه أبعد كل ذلك بحركة من يده وقال :

– أنهم سيغتالوننى ذات يوم بطريقة ما ، وعندما يقع ذلك فلا تحزن ، لأننى سأكون واثقا عندئذ بأنك بذلت أقصى جهدك لتأجيل منيتى .. وإننى أشكرك سلفا على ذلك .

وعرض على خطته عندئذ ، وكانت خطة بسيطة فى الواقع فقد اعتزم الإقامة فى الريف ،فى مكان هادئ منعزل يستطيع فيه ممارسة عمله فى هدوء ، ووقع اختياره أخيرا على قرية صغيرة فى مقاطعة سومرست تعرف باسم كنجز جناتون ، وتبعد عن أقرب محطة بنحو عشرة كيلو مترات ، وفى معزل عن ضوضاء " المرور " وأشترى فيها فيللا صغيرة أجرى فيها بعض الإصلاحات وأستقر به المقام فيها هو وأربعة أشخاص هم أبنة أخيه جريتا وسكرتير وخادمة المانية قضت فى خدمته أربعين سنة وبستانى عجوز أمين من أهالى القرية .. تمتم الدكتور لويد يقول :

- المشبوهون الأربعة .

- هو ذلك المشبوهون الأربعة .. وليس هناك الكثير بعد ذلك ، فقد مرت الأيام في هدوء في قرية كنجز جناتون خمسة شهور ، ثم جاءت الضربة ووقع الدكتور روزين ذات صباح من أعلى السلم ، وأكتشفت جثته بعد نصف ساعة ، وكان قد فارق الحياة .. وكانت جرترود في المطبخ والباب مغلق عليها ، ولم تسمع كما زعمت ، أما فرولين جريتا فكانت في الحديقة تقوم بزراعة بعض البصل والخضر كما تزعم هي الأخرى وقال البستاني دوبس إنه يتناول طعام الأفطار في كوخه ولم يسمع شيئا ، وكان السكرتير قد خرج لكي يقوم بجولة كما يزعم هو الآخر ، صفوة القول لم يكن لدى أي منهم دليل نفي يبعد التهمة عنه ولم يكن هناك من يستطيع تأييد أقوال أي واحد من الآخرين .. ولكن الشئ الوحيد المؤكد هو أن القاتل لم يأت من الخارج فإن ظهور أي غريب في القرية كان كفيلا بلفت الأنظار ، ثم أن بابي الفيللا كانا مقفلين بالمفتاح وكل ساكن من سكان البيت كان معه مفتاحه الخاص .

وبذلك ترون أن القضية تنحصر بين الأشخاص الأربعة المقمين مع القتيل ..ومع ذلك فأنهم يبدون جميعا بعيدا عن الشبهات .. فجريتا هي أبنة أخيه وجرترود قضت في خدمته أربعين عاما ودوبس من أهالي القرية ولم يفارقها أطلاقا وشارل تمبلتون ، السكرتير ..

أسرع الكولونيل بانترى يقول :

- آه .. السكرتير هذا من أين جاء هذا ؟ من رأيي أنه المشبوه رقم ١ ماذا كنت تعرف عنه ؟

أجاب سير هنرى:

- أن ما أعرفه عنه بالذات يبعد عنه كل شبهة ، فقد كان واحدا من رجالى .

تمتم الكولونيل بانترى يقول :

- آه حسنا ..

- نعم .. أردت أن أضع أحد رجالى فى المكان ، ولكننى لم أشأ أثارة الأقاويل فى القرية فى نفس الوقت .. وكان الدكتور روزين بحاجة إلى سكرتير ، فعرضت عليه تمبلتون ، وكان يتكلم الألمانية بطلاقة ثم أنه كان مخبرا ممتازا .

صاحت مسز بانترى بصوت يدل على الأنزعاج :

- ولكن فيمن نشتبه أذن ؟ يبدو ونحن نستمع إليك أن كل هؤلاء القوم قوم لا شائبة عليهم .

- يبدو هذا فى الظاهر طبعا .. ولكننا نستطيع أن نرى الأمور من زاوية أخرى .. أن جريتا هى أبنة أخ الدكتور روزين طبعا ، ولكن منذ أن اندلعت الحرب ونحن نشهد من وقت لآخر أحداثا فظيعة وأعمالا جسيمه ما كنا لنتصورها أبداً .. فالأخ ينقلب على أخته ، والأب على أبنه وهكذا وقد رأينا فتاة من أجمل الفتيات وأرقهن تقدم على أبعد الأشياء التى يمكن أن يتصورها العقل .. ونفس المقياس يمكن أن ينطبق على جرترود ، وفى حالتها هى بالذات يمكن لعناصر أخرى أن تلعب دورها : مثال ذلك ربما وقع شجار بينها وبين مخدومها أحيا حقدا قديما دفينا تحت سنوات من

الخدمة الصادقة .. أن النساء اللاتى ينتمين إلى وسطها هن فى أغلب الأوقات حاقدات بطبعهن .. وبوبس ؟ . هل ينبغى أن نبعده من دوائر شبهاتنا لا شىء إلا لأنه كان يعيش فى القرية من قبل .. طبعا لا ؟ فأن المال يمكن أن يكون العامل الذى أغراه على العمل ؟ والواقع لم لا يكونون قد اشتروه .

على أن هناك شيئا يبدو أكيدا ، وهو أن هناك خطابا أتى من الخارج ، والا فكيف نفسر هدنة الشهور الخمسة ؟ .. ليس هناك غير تفسير واحد ، وهو أن أعضاء الجمعية الذين لم يلق عليهم القبض وظلوا أحرارا ، كانوا لا يزالون يجمعون الأدلة والقرائن على خيانة روزين ، وهى خيانة لم يكونوا متأكدين منها تمام التأكيد ، وعندما تأكدت شكوكهم أرسلوا الأمر بالقتل على الرغم من جدران الحديقة ومن الأبواب الموصدة صاحت جين وهى ترتعش :

– هذا فظيع !

واستطرد سير هنرى يقول :

– كان لابد لنا أن نعرف كيف جاء الخطاب .. وهذه هى النقطة التى حاولت أن أجلوها ، لأنها كانت الأمل الوحيد الذى يمكننا من معرفة السر كان المنطق يقول إن واحداً من هؤلاء الأربعة أتصل بالخارج بطريقة ما . وأن أعضاء الجمعية الباقين أرسلوا اليه الأمر بالقتل بنفس الطريقة .. وكان المؤكد أنه لم يمر وقت طويل بين صدور الأمر وتنفيذه .. وفى هذا النوع من الأنتقام كان التنفيذ يلى الأمر على الفور إذا جاز لى هذا القول ثم أن هذه الطريقة هى التى اشتهرت بها جمعية اليد السوداء فى ارتكاب جرائمها .

وتناولت القضية بطريقة قد تبدو لكم دقيقة إلى أبعد حدود الدقة وروتينية جدا .. ولكنها طريقة كانت قد أتت بثمرتها قبل ذلك مرارا ، وظللت أتمسك بها ، فألقيت على نفسى سؤالا أوليا وهو :

– من الذى جاء إلى الفيللا صباح اليوم ؟ . ولم أستبعد أى شخص بأية صورة ، وها هى قائمة الزوار .

وأخرج سير هنرى من جيبه الداخلى مظروفا أخذ منه ورقة وقال :

– كان الجزار هو أول من أقبل فجاء بفخذة خروف وقد تحققنا من ذلك وثبت لنا صدقه .

ثم جاء بعد ذلك صبى البدال بكيس من الدقيق ورطلين من السكر ورطل من الزبدة ، ورطل من البن وتحققنا من ذلك أيضا .

ثم جاء الساعى أخيرا بنشرتين باسم فرولين روزلين خطاب من القرية وثلاث خطابات للدكتور روزلين بالذات أحدها من الخارج وخطابين لمستر تمبلتون أحدهما من الخارج أيضا .

وأمسك سير هنرى عن الكلام من جديد لكى يخرج أوراقا أخرى من المظروف ثم استطرد يقول :

– وإذا أردتم أن تتحققوا بأنفسكم فإليكم الخطابات المذكورة .. وقد سلم لى المعنيون بعضها ، والتقطنا البعض الآخر من سلة المهملات ، ولا حاجة بى إلى أن أقول لكم إنها خضعت لبحث دقيق فى معاملنا ، وبحثنا فيها بصفة خاصة عن أي نوع من أنواع الحبر السرى ، ولكن النتيجة كانت سلبية .

التف المستمعون حول سير هنرى فى فضول واهتمام كبيرين .. كانت النشرتان صادرتين ، إحداهما من مشتل للزهور والأخرى من مصنع للفراء أما الرسائل الثلاثة الخاصة بالدكتور روزين ، فاحداها تحتوى على فواتير خاصة بأشياء كان قد اشتراها ، والثانية من إحدى مكتبات لندن ، أما الثالثة فاليكم نصها :

" عزيزى روزلين ،

إننى عدت أخيرا من زيارة قمت بها للدكتور هلموت سبات ، ورأيت أدجار جاكسون البارحة .. وكان قد عاد هو وأموس من تسنج تاو لتوهما . وبكل (إخلاص) لا أستطيع أن أحسدهما لقيامهما بهذه الرحلة .. ابعث لى بأنبائك ، وكما سبق أن قلت لك كن على حذر من شخص معين ، وأنت تعرف من أقصد على الرغم من أنك لا تتفق معى فى هذه النقطة .. تحياتى

" جورجينا "

واستطرد سير هنرى يقول :

– إليكم الآن باقى القصة .. جاءت لمستر تمبلتون فاتورة من الترزى الذى يتعامل معه وخطاب من صديق المانى مزقه لسوء الحظ والقاه أثناء تجوله ، وها هو أخيراً الخطاب الذى جاء لجرتورد .

عزيزتى مسز سوارتز :

نرجو أن تتمكنى من حضور الحفلة التى ستقام مساء يوم الجمعة القادم تحت رعاية راعى القرية كانت وصفة الجمبون مدهشة ، وأشكرك كل الشكر أرجو أن يصلك خطابى هذا وأنت فى صحة جيدة ، وأن نراك يوم الجمعة

المقبل وتقبلى تحياتى .

" إيما جرين "

تألقت ابتسامة على شفتى الدكتور لويد وشفتى مسز بانترى وقال الطبيب :

– أظن أنه يمكن استبعاد هذه الرسالة تلقائيا .

أجاب سير هنرى :

– كان هذا رأيى أنا الآخر .. ولكننى حرصت على أن أتأكد إذا كانت هناك سيدة تدعى مسز جرين فى كنجز جناتون ، وإذا كانت هناك حفلة خيرية ستقام مساء يوم الجمعة ، تحت رعاية راعى القرية ، فلا يجب أن نترك شيئا للظروف كما تعرف .

– هذا ما تقوله دائما صديقتنا مس ماربل .

ونظر إلى العانس العجوز وهو يبتسم وخاطبها قائلا :

– ولكننى أراك تحلمين وأنت مستيقظة يا مس ماربل . ففيم تفكرين ؟

أجفلت مس ماربل كما لو كانت قد أفاقت من سبات جميل وقالت :

– إننى حمقاء حقا .. ولكننى كنت أتساءل لماذا جاءت كلمة إخلاص بين قوسين فى الخطاب المرسل للدكتور روزين . أنحنت مسز بانترى على الفور فوق الورقة وصاحت فى دهشة شديدة :

– أوه ، ولكن هذا صحيح .

– نعم يا عزيزتى .. ظننت أنك قد لاحظت ذلك أنت الآخر .

قال الكولونيل :

– إن فى هذا الخطاب إنذارا محددا ، نصيحة وتحذير .. وهذا أول شىء لفت اهتمامى .. إننى ألاحظ كل شىء دون أن يبدو على ذلك يا عزيزتى . نعم ، هناك إنذارا محدد .. ولكن ضد من ؟

قال سير هنرى :

– مازال هناك شىء غريب بخصوص هذه الرسالة فطبقا لأقوال تمبلتون فض الدكتور روزين الرسالة أثناء الإفطار وألقاها اليه عبر المائدة قائلا إنه لا يعرف أى شىء عن الرجل الذى كتبها .

تدخلت جين هلييه قائله :

– ولكن لم يكتبها رجل .. فهى موقعة باسم جورجينا .

قال الدكتور لويد وهو يفحص الرسالة :

– من العسير أن نجزم بذلك . فالتوقيع يبدو كأنه جروجى أو جورجين . وإن كنت أميل إلى الظن أنه جورجينا فى الواقع .. ومع ذلك فإن الخط يدل على أن رجلا هو الذى كتبه .

صاح الكولونيل بانترى فى حماس :

– ولكن هذا مثير جدا .. وأن القاء الدكتور روزين لهذا الخطاب عبر المائدة بتلك الطريقة زاعما أنه لا يفهم شيئا لأمر يدل على براعة تامة ؟ .. ! هل كان يريد مراقبة وجه شخص منهم ؟ .. ولكن من هو ؟ ... هل هو وجه الفتاة أو وجه الرجل .

تدخلت مسز بانترى وقالت :

– أو لعله وجه الطاهية ، فمن المحتمل أنها كانت موجودة فى الغرفة فى ذلك الوقت للإشراف على طعام الإفطار ، ولكن الأمر الذى لا أفهمه هو .. أن هذا عجيب جدا .

وحولت اهتمامها من جديد إلى الخطاب عابسة الأسارير ، واقتربت مس ماربل منها وراحت تربت بسبابتها على الورقة ، وأدنت كل منهما رأسها من رأس الأخرى وراحتا تتكلمان فى همس ، وقالت جين هلييه فجاءة :

– ولكن لماذا مزق السكرتير خطابه الثانى .. يبدو لى أن هذا .. أوه أننى لا أدرى .. إن هذا يبدو غريبا على كل حال لماذا تأتيه خطابات من ألمانيا ؟ حتى وإن كل فوق الشبهات كما تقول ، صاحت مس ماربل وقد فرغت فجأة من همسها مع مسز بانترى :

– ولكن سير هنرى لم يقل هذا ، وإنما قال مشبوهون أربعة ، ومعنى هذا أنه يضم مستر تمبلتون إلى الباقين ، أنا علي صواب أليس كذلك يا سير هنرى ؟..

– تماما يا مس ماربل ، إننى عرفت شيئا بعد تجَارب مريرة ، وهو أن لا أقول لنفسى أبدا أن هذا الشخص أو ذاك فوق كل الشبهات ، وقد ذكرت لكم الأسباب التى حملتنا على الظن بأن ثلاثة من هؤلاء الأشخاص يمكن أن يكونوا مجرمين ، وأن كان ذلك يبدو غير معقول غير أنني لم أطبق نفس الطريقة على شارل تمبلتون ولكننى أصل إليه الآن لكى أكون مخلصا للمبدأ الذى ذكرته لكم الآن إلا أنني سأقول لكم كلمة أخرى قبل ذلك وهى أنه لابد لنا من الاعتراف بأن فى كل جيش وفى كل أسطول وفى كل إدارة بوليس عدد من الخونة فى صفوفهم وإن لم يطب لكم ذلك ، وعلى ذلك فقد

فحصت موقف شارل تمبلتون فحصا دقيقا ..

ألقيت على نفسي السؤال الذى ألقته مس هلييه منذ لحظات وهو :

– لماذا عجز وحده عن أظهار أحد الخطابين اللذين تسلمهما ، وبالذات ذلك الذى جاءه من ألمانيا ؟.. لماذا وكيف تأتيه رسائل من المانيا ؟..

كان هذا السؤال الأخير لا قيمة له ،وقد ألقيته عليه بكل صراحة وكان رده بسيطا وطبيعيا ، ذلك أن خالته متزوجة من ألماني والخطاب المذكور أرسلته أبنة خالته ، وعرفت عندئذ نقطة جوهرية لم أكن أعرفها من قبل ، وهو أن لشارل تمبلتون معارف في المانيا ، وجعلتني هذه الحقيقة أضمه إلى قائمة المشبوهين على الفور ، بل أنني وضعته على راس القائمة صحيح أنه كان واحدا من رجالي .. ومن رجالي الممتازين الذين يتمتعون بكامل ثقتي ، ولكنني مع ذلك وضعته على راس قائمة المشبوهين .

ولكن ليس الأمر ..لا أدرى .. لا أدرى حقا .. والظاهر أنني لن أعرف أبدا .. ليس الأمر الأقتصاص لجريمة قتل ، وأنما هي مسألة تبدو لي أهم من ذلك ألف مرة .. أنها افتضاح رجل شريف يخيم على مستقبله شكالا أستطيع أن أهمله .

سعلت مس ماربل وقالت في رفق :

– إذا كنت قد فهمتك جيدا يا سير هنرى فأن كل شبهاتك تستقر على هذا الشاب ؟.

– نعم شيئا ما ، كان يجب أن يكون الموقف واحدا نحو الأشخاص الأربعة جميعا ، ولكنه ليس كذلك حقا ، فدوبس مثلا مهما بلغت شكوكي فيه

فهى لن توثر فى مستقبله أبدا ، فلن يخطر لأي أحد فى القرية أن موت الدكتور روزين لا يرجع إلى حادث عارض ، وجرترود لا يمكن أن تؤثر شكوكى فيها بعض الشئ ، وأن هذا الشك الذى يحلق فوق رأسها يمكن أن يغير موقف نرولين روزين من ناحيتها ، ولكن بكل صراحة لن يكون لهذا أية أهمية بالنسب لها ..

أما جريتا روزين فنصل معها إلى عقدة المشكلة ، وهى فتاة جميلة جدا وشارل تمبلتون شاب وسيم جدا ، وقد عاشا لمدة خمسة شهور تحت سقف واحد ، وجنبا إلى جنب ، وفى مكان منعزل ، ليس فيه أية وسيلة من وسائل الترف ، وبهذا وقع المحظور وعشق كل منهما الآخر ، وأن كانا لم يصلا بعد إلى مرحلة الاعترفات عندما مات روزين ..

ولكن جاءتنى جريتا روزين نفسها منذ ثلاثة شهور وقالت أنها باعت الفيللا وعادت إلى المانيا لتسوية أعمال عمها نهائيا ، ولكنها قالت لى أنها بمجرد عودتها إلى انجلترا جاءتنى على الرغم من أنها تعلم أننى قد أحلت أثناء ذلك إلى المعاش لكى تحدثنى فى مسألة خاصة ، ولفت بعض الوقت حول الموضوع كما يقال ، ولكنها تكلمت أخيرا وانطلق كل شئ من بين شفتيها ، وسألتنى الرأى ، فقالت :

– إن تلك الرسالة كانت تحمل طابعا المانيا ، وإن هذا الأمر أزعجها كل الأزعاج ولكن شارل مزقها فجأة وهى الرسالة الوحيدة التى لم نجد لها أثر ، وقالت أنها تصدق القصة التى ذكرها لها شارل طبعا ولكن أوه ، لو أنها تعرف فقط لو تعرف بطريقة موكدة ..

أرأيتم ؟.. نفس الأحساس .. الرغبة فى المعرفة ولكن نفس الشك

الفظيع الخفى الذى يرقد فى أعماق النفس ولكنه يلح عليها فى نفس الوقت وحدثتها بكل صراحة ، وسألتها أن تصارحنى القول ، وأن تقول لى إذا كانت تحب شارل ، وهل يحبها هو من ناحيته فأجابتنى :

– أظن ذلك .. آوه نعم إننى واثقة من حبه لى كنا سعيدين جدا ،وكان كل يوم يمر علينا ونحن فى أسعد حال .. فقد كنا نعرف أن كلا منا يحب الآخر ولكننا لم نكن متعجلين فقد كان أمامنا الوقت كله ، وكنت أعرف أنه سيأتى يوم يقول لى فيه أنه يحبنى ، وأننى سأرد عليه أننى أنا الأخرى أحبه .. آه ولكن لك أن تخمن ما حدث الآن لقد أنقلب كل شئ ظهرت سحابة بيننا ، وشعر كل منا بالأرتباك عندما نلتقى ، ولا ندرى ماذا يقول كل منا للآخر ويفكر كل منا نفس الشئ ويقول فى نفسه :

آه لو أستطيع أن أتأكد .. لهذا السبب جئت اليك يا سير هنرى جئت أتوسل إليك أن تقول لى ". أقسم لك بشرفى أن شارل تمبلتون لم يقتل عمك ".. قل لى ذلك .. أوه قله لى .. أرجوك أتوسل إليك .

وأحتد سير هنرى فجأة وهوى بقبضته فوق المنضدة وقال :

– وأبغض ما هناك هو أننى لم أكن أستطيع أن أقسم بشرفى على ذلك وسيزداد النفور بينهما ، وسيفرق الشك بينهما كما لو كان شبحا .. شبحا ليس لى الحق فى أزالته طواعية .

وأرتمى فى مقعده إلى الخلف وقد اصفر لونه ، وهز رأسه مرة أو مرتين فى يأس :

– ولا نستطيع أن نفعل أى شئ ما لم ..

وأعتدل سير هنرى فى جلسته وقد تألق وجهه بأبتسامة عابرة غير متوقعة

وأستطرد يقول :

– ما لم تتمكن مس ماربل من مساعدتي ، ما رأيك يا آنستي العزيزة ؟ يخامرني أحساس بأن هذا الخطاب ربما كان من اختصاصك أعني ذلك الذي يضم الدعوة لحضور الحفلة الخيرية ألا يذكرك بشئ أو بشخص يمكن أن يلقي ضوءا على هذه القضية الغامضة الا يمكن أن تفعلي شيئا لمساعدة عاشقين شابين يائسين لا هم لهما إلا أن يكونا سعيدين ؟..

وعلى الرغم من أن هذا الطلب بدا غريبا من قبل رجل محنك من رجال اسكوتلانديارد ، الا أنه كان طلبا جديا كل الجد ، فقد كان سير هنري يثق ثقة عمياء في حسن أدراك ومقدرة مس ماربل ، بحيث ومضت عيناه ببريق الأمل وهو يرفعهما إليها ..

وسعلت الأنسة العجوز في أرتياك ، وراحت تمر بأصابعها على جونلتها وهي تقول :

– أن قصتك هذه تذكرني بقصة أني بولتري وأن الخطاب واضح تماما طبعاً بالنسبة لي ولمسز بانتري ، لا أعني خطاب الدعوة إلى الحفلة الخيرية وأنما الخطاب الآخر ذلك الذي أرسله مجهول إلى الدكتور روزين وأنت يا سير هنري تعيش في لندن بصفة مستمرة تقريبا ، ولا تدري شيئا في أمور البستنة ، ولهذا لم تلحظ شيئا ولم تدرك أي شئ ولكنني عرفت كل شئ أنا ومسز بانتري .

صاحت هذه الأخيرة تقول :

– أيه .. لحظت ماذا وعرفت ماذا ؟..

نظرت مس ماربل إلى صديقتها ، فأخذت هذه الفهرس من فوق المائدة

وفتحته وبدأت تقرأ فى صوت هادئ تشوبه لذة الاستمتاع .

والآن سأقرأ عليكم وصفا لبعض الزهور وهما هلموت سبات : زهرة كبيرة بيضاء اللون طويلة الساق رائعة الجمال .

أدجار جاكسون : زهرة جميلة حمراء تشبه زهور الأقحوان .

أموسبيرى : من زهور الزينة ذات لون أحمر فاقع ..

تسينج تاو : زهرة حمراء بلون البرتقال جميلة وطويلة العمر ..

هونستى : نوع من الزهور يكون أبيض أحيانا ووردى اللون أحيانا أخرى وهى زهور كبيرة ضخمة جميلة .

ألقت مسز بانترى الفهرس فوق المائدة ، وقالت فى صوت متهدج :

– هذه الزهور من فصيلة الدهلية ، وقد وردت أسماؤها جميعا فى الخطاب الموجه إلي مس روزين وقالت مسز ماربل فى رفق :

– وإذا نحن أخذنا الحرف الأول من كل من أسماء هذه الزهور وجمعناها معا لأصبحت لدينا كلمة وهذه الكلمة معناها الموت كما تعلمون .

قال سير هنرى معترضا :

– ولكن الخطاب أرسل إلى الدكتور روزين بالذات أجابت مس ماربل :

– هذه هى الناحية البارعة فى المؤامرة .. الخطاب وما يحتويه من تحذير .. ماذا يكون رد فعل الدكتور روزين عندما يتسلم خطابا من مجنون محشو بأسماء يجهلها هى الأخرى ؟.. سيعطيه إلى سكرتيره بطبيعة الحال .

– إذن فالسكرتير هو ؟.

أسرعت العانس تقول فى حزم :

– أوه كلا .. ليس السكرتير ، وهذا ما يدل دلالة واضحة على أنه ليس هو الجانى ، فما كان ليترك هذا الخطاب وراءه أبدا لو أنه هو الجانى ، وما كان ليمزق خطابا يحمل طابعا ألمانيا ، إن براءته ساطعة حقا ، هذا إذا سمحت لى أن أستخدم هذه الكلمة .

– من أذن ؟..

– حسنا يبدو ومن المؤكد تقريبا ..من المؤكد كما يمكن لأى شئ أن يكونه فى هذه اللحظة أن الشخص الثالث الجالس إلى المائدة قد استطاع أن يمد يده ، وهى حركة طبيعية تماما فى مثل هذه الظروف ، ويأخذ الخطاب ويقرؤه .. وتذكر أنه جاءها نشرة من أحد المشاتل فى نفس الوقت:

قال سير هنرى فى بطء :

– جريتا روزين .. إذن فزيارتها لى ..

قالت مس ماربل فى رفق :

– أن الرجال لا يعرفون أن يميزوا هذه الأشياء ، وأظن أنهم يعتقدون فى أغلب الأحيان أن الطبيعة قد حبتنا نحن النساء المسنات بعيون كعيون القطط لكى نرى الأمور كما تراها ، ولكن الواقع إننى أعرف لسوء الحظ الكثير فيما يتعلق بالجنس اللطيف ، قد أحسست على الفور بأن هناك عقبة بين هذين الشابين ، فقد أحس الشاب بنفور مفاجئ غامض نحو جريتا . . أشتبه بالفطرة فى أن هناك شيئا ، لم يستطع إخفاء الشك الذى يعتريه وأظن حقا أن زيارة هذه الفتاة لك كانت بدافع الغيظ والكمد ، إنها تصرفت

بحذق وحذر حين تعين عليها أن تنفذ الأمر الذى صدر وتقتل عمها ، ولكنها تخلت عن هذا الحذر شيئا ما لكى توجه شكوكك إلى مستر تمبلتون المسكين نهائيا ، ولك أن تعترف أن يقينك من جرم مساعدك قد تأيد بعد زيارة جريتا الجميلة .

بدا سير هنرى يقول :

– كنت واثقا أنه ليس فيما قالت أى عادت مس ماربل تقول فى هدوء :

– إن الرجال لا يفهمون شيئا فى هذه الأمور .

– وهذه الفتاة وسكت لحظة ثم استطرد :

– ارتكبت جريمتها بكل برود وأفلتت من العقاب ، احتجت مس ماربل قائلة :

– أوه ، أبدا يا سير هنرى ، لن تفلت من العقاب أبدا ، لا يمكن أن نصدق ذلك ، لا أنا ولا أنت تذكر ماقلت لنا منذ وقت غير طويل لن تفلت جريتا روزين من العقاب ، فهى قبل كل شئ مرتبطة بعصابة من الأشرار من الأرهابيين ومبتزى النقود ، ولن تنعم بالهدوء والاستقرار معهم ، ثم إننا نستطيع أن نتنبأ لها بنهاية مفجعة دون أن نبعد عن الحقيقة ، وكما قلت أنت بكل حق منذ قليل لا يمكن أن نركز على مصير الجانى وأن ما يهم هومصير البرئ أولا ، أن مستر تمبلتون وأعتقد أنه سيتزوج ابنة خالته الألمانية ، أتى بحركة بدت مشبوهة حين مزق أحد الخطابين ، ومن رأيى أنه أتى بهذة الحركة كما لو كان يخشى أن تراه الفتاة الأخرى أو أن تطلب منه أن يقرأه لها ، ثم هناك دوبس ، وهذه القصة لن تضره كثيرا كما قلت ، فأن قوت يومه يجب أن يكون شغله الشاغل ، وهناك بعد ذلك تلك الخادمة المدعوة

جرترود ،وهي التي جعلتني أتذكر آني بولترى ، فهذه الأخيرة خدمت سيدتها بكل أخلاص نحو خمسين سنة ثم أصبحت محل شك وشبهة في أنها أتلفت وصية مس لامب دون أى دليل وقد أصيبت المسكينة بصدمة كبيرة وتحطم قلبها ، ولم تظهر الوصية الا بعد موتها ،اذ عثروا عليها في قاع مزدوج لعلبة الشاى وقد وضعتها مس لامب فيها بنفسها لكى تكون في مكان أمين ، وكان الوقت قد فات بالنسبة لآنى المسكينة .

وقد دضايقتنى قصة المدعوة جرترود ، فعندما يكبر المرء ويشيخ ويصبح أكثر مرارة ، وأنى لأشعر بحزن كبير من أجلها أكثر مما أشعر به من أجل مستر تمبلتون ، فهذا الأخير شاب ووسيم كذلك تنظر إليه النساء بكل إعجاب ، ويجب أن تكتب إليها يا سير هنرى لكى تنبئها بأن براءتها قد ظهرت نهائياً ، فأن موت سيدها ، بعد أن قضت في خدمته كل هذه المدة ، والحزن الذى عصف بها لموته ، ثم إحساسها بأنهم يشتبهون فيها .. أوه أنه لأمر فظيع بالنسبة لها ، وأنا نفسى لا أطيق موقفا كهذا .

وعدها سير هنرى قائلا :

– أكتب لها يا مس ماربل ، واستطرد يقول وهو ينظر إليها بضع لحظات في فضول :

– أنني لا أفهمك أبدا فأن لك نظرة إلى الأمور لا أتوقعها أبدا ..

أجابت مس ماربل في تواضع وطرب :

– ولكننى قصيرة النظر ولم أخرج تقريبا من قرية سنت مارى مين ..

– ومع ذلك فقد جلوت لنا سر غامضا يمكن أن ندعوه سرا دوليا .. لأنك

جلوت هذا السر حقا ..

إصطبغ وجه مس ماريل ، ثم قالت وقد إنتفخت أوداجها :

– ذلك أنني لقيت ثقافة عالية لم تسنح لواحدة من بنات عصرى ، فقد كانت لنا أنا وأختى مدرسة ألمانية كانت مخلوقة عاطفية جدا ، علمتنا لغة الزهور وهى لغة ظريفة لم يعد أحد يهتم بها اليوم ، فزهرة التيوليب الصفراء معناها حب لا أمل فيه ، فى حين أن زهرة المرجريت معناها أنني أغار عليك جدا ، وقد كان ذلك الخطاب يحمل توقيع جورجينا وهى كلمة المانية تطلق على زهرة الدهلية ، وهذه الزهرة ترمز إلى الغدر والخيانة ، وكل هذا يوضح الأمور طبعا .

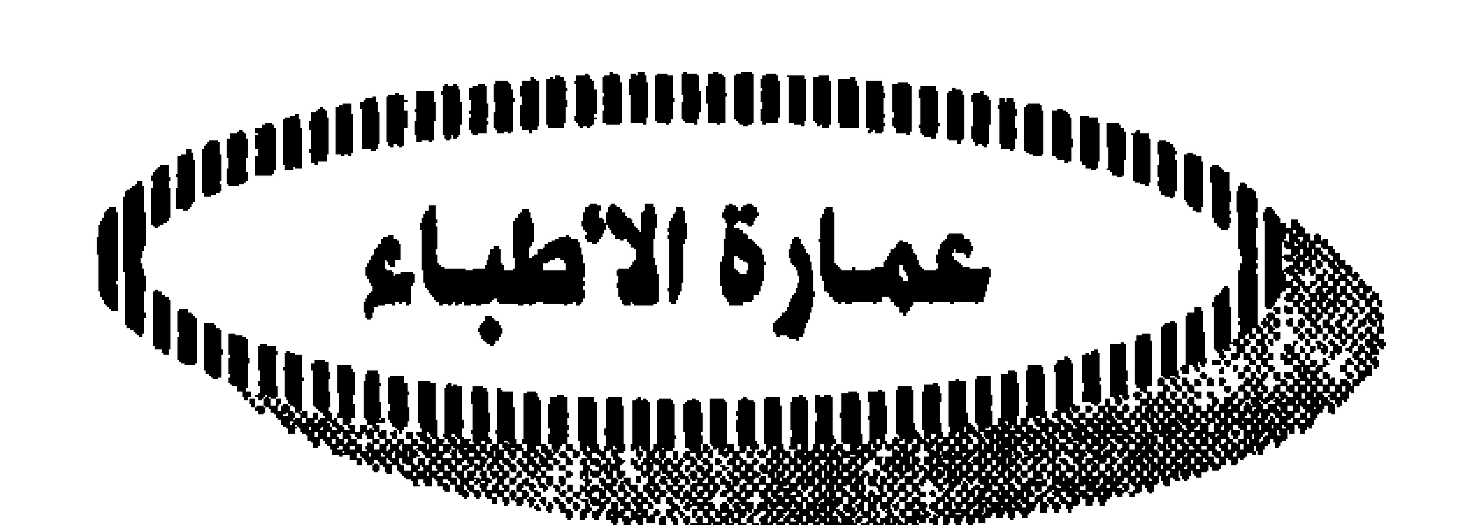
قالت جين هلبيه فى صوت حالم :

– – هناك رجل اعتاد أن يرسل إلى زهور أوركيدية كل ليلة .

– قالت مس ماريل وعلى شفتيها ابتسامة خبيثة :

– معناها أنه عبدك المخلص وأنه ينتظر منك ولو نظرة !..





عمارة الأطباء

كانوا قد نقلوا الجثة من المكان الذى وقعت به وراح رجال المطافى يزيلون الآن الدم الذى سال فوق الأرض بجوار عمارة الأطباء .

وقال الرقيب آلين :

– لم يره أحد وهو يقع ، ولكن اثنين سمعا السقطة .

– هل صرخ ؟..

– كلا ، ولكنه وقع كالكيس المملوء بالماء أيها الضابط ، فأحدث دويا ورشاشا ، وكانت مسز كوربين وزوجها يمران فى هذه اللحظة بالذات ، وقد أغمى على المرأة المسكينة عندما رأت المنظر ..

وراحت الكشافات تضئ المكان الذى يعمل فيه رجال المطافئ .. ودرت بحلقة الأنابيب ، ورفعت عينى لكى أفحص العمارة ذات الطوابق الخمسة ..

وأخذ آلين نفسا من سيجارته وقال :

– عندما يقع المرء فليس أمامه غير مسار واحد وهو الوقوع بطريقة عمودية ، وإذا كان لم يقع من السطح فلابد أنه وقع من إحدى هذه النوافذ

الثلاث .. بالطابق الخامس أو الرابع أو الثالث.. ولايمكن أن يكون قد وقع من أقل من هذا الارتفاع وإلا ما كان على هذه الصورة .

– ومن هو ؟..

– طبقا للأوراق التى وجدناها فى محفظته فهو يدعى تارموند فريزر ، هذا كل ما نعرفه عنه تقريبا .

واجتاز رجل بثياب مدنية برك الماء على طرف قدميه واقترب منا و قال :

– إنه لم يقع من فوق السطح ، واخذت أدير مفاتيح عربتى فى جيبى وأنا أسأله :

– ما الذى يحملك على هذا القول ؟.

ليس هناك غير باب واحد يؤدى إلي السطح وهو مقفول بالمفتاح ومفتاحه موجود مع البواب ووكيل العمارة فحسب ..

لعله عثر على مفتاح آخر دار فى القفل ؟..

– لا يبدو ذلك ، فهناك طبقة كثيفة من تراب الفحم على أرضية السطح ولو أن أحد صعد إليه لانطبعت آثار قدميه عليها ومضيت إلى أحد الكشافات ، ووجهت ضوءه إلى جانب العمارة فى حين قال آلين :

– عندما وصلنا كانت نوافذ الطابق الخامس والثالث مفتوحة ، وبعض الناس يطلون منها ، أما نوافذ الطابق الرابع فكانت مقفلة ونورها مطفأ كما هو الآن .

ألا يمكن أن يكون قد خرج من نافذة أخرى ، وسار بمحازاة الكورنيش قبل أن يلقى بنفسه فى الفضاء .

– لا يوجد أى كورنيش وما كان فى مقدوره أن يخرج من النافذة ويغلقها خلفه لأن متكأ النافذة لا يزيد عرضه عن عشرة سنتيمترات .

القيت نظرة إلى ساعتى ، كنت قد فرغت من عملى عندما سمعت عن هذه القصة فى راديو سيارتى وقلت :

– أظن أنك تستطيع الاهتمام بهذه القضية بدونى أيها الرقيب ، فإن زوجتى تنتظرنى ، سأكون بالبيت إذا أحتجت إلى ..

وركبت سيارتى ومضيت إلى البيت ..

وكانت زوجتى مافيس غارقة فى إحدى مجلات الأزياء ، ورفعت رأسها عندما دخلت وقالت :

– إنك تأخرت .

وعندما انحنيت وقبلتها قلبت صفحة من مجلتها وقالت :

– إننى تناولت عشائى مبكرا ، وقد تركت لك شيئا فى الفرن .

مضيت إلى المطبخ ، ووضعت الطعام فوق المائدة وبعد لحظة جاءت مافيس إلى الباب وقالت :

– سوف نذهب إلى آل دنيسون الليلة ، أن لديهم أجتماعا صغيرا عاديا

وتساءلت أن كان فيليب تومبسون سيكون هناك ، طبعا إذا ما عرف أن مافيس ستكون هناك ، وقالت هذه الأخيرة :

– حاول أن تتظاهر بأنك تستمتع بوقتك عندما تكون هناك .

نظرت إلى عينيها البنفسجيتين وأنا لا أشعر بأى اهتمام إن كنت

سأستمتع بوقتى هناك أم لا ، وعادت تقول وهى تفحص أظافرها :

– لا تتأخر ، فقد وعدت أن نكون هناك فى التاسعة .

وكان قد اجتمع لدى آل دنسيون أثنا عشر شخصا عندما وصلنا هناك وتناولت كأسا من فوق صينية ، وذهبت إلى ركن وجلست فيه ..

وطافت مسز دنيسون بمدعويها وخاطبتنى قائلة :

– هل وقعت جريمة مثيرة فى هذه الأيام الأخيرة ..جريمة تثير الخوف ؟.

– لم يقع شئ خاص .

وغادرتنى ومضت إلى غيرى .

وقضيت السهرة وأنا أراقب مافيس وفيليب تومبسون ، كانا لا يتحدثان إلا نادرا وما كان فى مقدور أحد أن يخمن ما أعرفه عنهما .

وفى صباح اليوم التالى جاءنى المخبر بروكس فى مكتبى يقول لى أن آلين ترك لى رسالة قبل أن يغادر القسم فحواها أن تصميمات الطوابق الثلاثة ، الثالث والرابع والخامس واحدة وأن كلا من النوافذ التى تهمنا هى نافذة غرفة الانتظار فى عيادة طبيب .

وألقى نظرة على الملف الذى يمسكه فى يده واستطرد :

– الطابق الثالث .. نافذة الدكتور أبرامز ، طبيب الأمراض الباطنية كان بغرفة الانتظار ثلاثة من المرضى ومعهم سكرتيرة الطبيب وقت الحادث كانت الساعة السابعة والربع ، وهم يقسمون أنهم لم يروا أحداً يثب من النافذة أو يقع منها أو يدفعه أحد ثم إنهم لم يسمعوا عن تارموند فريزر قبل ذلك .

واستأنف حديثه فقال :

– الطابق الرابع ، الدكتور وارنر طبيب الأسنان ، ولكن لم تكن لديه أية استشارة فى المساء ، وكان الظلام مخيما فى عيادته والأبواب مغلقة بالمفتاح .

– ربما أفلح فريزر فى الدخول بطريقة ما .

– لم نجد أى مفتاح مع جثته ، ولم يغتصب أى باب من أبواب الدكتور وارنر .

– وإذا كان بعضهم قد أدخله ثم ألقاه من النافذة وأغلقها ثم أغلق الباب بالمفتاح بعد أن أنصرف .

– إن البصمات الوحيدة التى وجدناها على متكأ النافذة هى بصمات مساعدة الدكتور وارنر ، وفى الساعة المذكورة كانت تبعد عن العيادة بنحو عشرة كيلو مترات وتتناول العشاء مع أسرتها وبعض الأصدقاء ، وقد تحققنا من ذلك .

– ربما فتح النافذة شخص يلبس قفازا ..

– لو صح ذلك لطمس بعض البصمات فى حين أننا وجدناها كلها سليمة

– لم يبقى أمامنا إذن إلا الطابق الخامس ، هز بروكس رأسه موافقا وقال :

– عيادة الدكتور جافن طبيب العيون والأنف والحنجرة والأذن ، فى الساعة السابعة والربع كان فى غرفة الانتظار عميل مع سكرتيرته ، لم ير أى أحد منهما شيئا ، وكل منهما يؤكد أنه لم يسمع عن فريزر قبل ذلك .

– وأين كان الدكتور جافن ؟.

– إنه لم يصل إلى عيادته إلا فى الساعة السابعة والنصف .

هل كان مع تارموند فريز سيارة وهل كانت موجودة أمام البيت ؟..

– بل كانت بالموقف خلف البيت ومن هذا يتضح أنه جاء بسيارته ..

– هل رآه أحد يدخل العمارة ..؟ صبى المصعد ؟..

– لم يره أحد والمصعد أوتوماتيكى .

وأخرج بروكس التقرير الطبى من الملف وقال :

– أو يعتقد الطبيب أنه إما أن يكون قد وقع أو ألقى به شخص من الطابق الخامس أو من السطح يمكننا استبعاد السطح إذن .

وكان بروكس قد أنجز ما كنت أنويه فقد قال :

– استدعيت سكرتيرة الدكتور جافن وعميله ، وكان يدعى آموس هويل ، أما هى فتدعى كلارا نيفنس ..

وأطبق الملف وأستطرد :

هل تريد أن أبقى ريثما تستجوبهما ؟..

– لا داعى لذلك ، أرسل إلى كلا منهما على حدة وكان هويل طويل القامة وجلس فى حذر وهو يقول :

– إننى لم أسمع أبدا عن تارموند فريزر ، قبل أن ينطق به رجالك أمامى تركته يشعل سيجارة قبل ان أقول له :

– فى أية ساعة وصلت إلى غرفة انتظار الطبيب ؟..

– فى نحو السابعة إلا عشر دقائق ، كان موعدى معه فى السابعة والربع ولكننى أحب أن أصل دائما قبل الموعد .

– ألم يكن باب غرفة الانتظار مغلقا .

– كلا ..

– هل كان بالغرفة أحد غيرك ؟.

– كلا .. لم يكن هناك أحد .

– ومتى جاءت السكرتيرة ؟..

– جاءت بعدى بنحو خمس دقائق .

– هل كان الدكتور فى عيادته .

– كلا .. كنت أعتقد أنه كان موجود ولكنه لم يكن كذلك .

– ولماذا اعتقدت أنه كان هناك ؟.

– كانت قبعته معلقة بالشماعة .

رسمت بضعة خطوط فوق الدفتر الذى أمامى وقلت :

– وكيف عرفت أنها قبعته ؟..

آه لأنه عندما عاد بعد أن وقع ذلك الرجل أخذها معه إلى عيادته .

وعدت إلى الوراء قليلا فقلت :

– تقول إن السكرتيرة جاءت بعدك بنحو خمس دقائق ، فماذا فعلت ؟

مضت إلى باب عيادة الدكتور وحاولت أن تفتحه ولكنه كان مقفلاً

بالمفتاح وقالت لى عندئذ إن الدكتور لن يلبث أن يصل بعد دقائق وماذا فعلت ؟..

– قرأت مجلة وعكفت هى على بعض أوراقها ، وفى نحو السابعة وعشرين دقيقة سمعنا صوت السرينات ، وخيل لنا أنها توقفت أمام العمارة وفتحت مس نيفنس النافذة وانحنينا معا ، ورأينا أناس كثيرين وقد تجمعوا حول جثة ذلك الرجل ، وكنا لا نزال أمام النافذة عندما أقبل الدكتور جافن بعد لحظات ، وسألنا عما حدث ، ثم أخذ القبعة من الشماعة ، وفتح باب عيادته ودخل ، وخرج منها بعد عشر ثوان وانضم الينا أمام النافذة .

وهل لعيادة الدكتور جافن باب آخر خاص به يفضى إلى البسطة ؟.

– نعم .. أظن ذلك .

وعندما فرغت من هويل استدعيت كلارا نيفنس ، وكانت قصيرة القامة ذات عينين سوداوين وقالت :

– تناولت العشاء ثم عدت فى الساعة السابعة إلا خمس دقائق .

– هل كان هناك أحد فى غرفة الانتظار ؟.

– نعم .. مستر هويل .

– وماذا فعلت بعد وصولك ؟..

– حاولت أن أفتح باب عيادة الدكتور فأنه حين يكون موجودا يحدث أحيانا أن ينسى أن هناك من ينتظره فى غرفة الانتظار ، ولكن الباب كان مقفلا بالمفتاح ، ولم يكن قد أقبل بعد .

ومنذ متى وأنت تعلمين مع الدكتور جافن ؟.

منذ شهر تقريبا فقد تزوجت السكرتيرة التى كانت تعمل معه قبلى .

– وأى نوع من الرجال هو ؟..

ترددت واحمر وجهها قليلا ثم قالت :

– حسنا .. إنه يرفع الكلفة أكثر من اللازم أحيانا ، أو بالأحرى كان كذلك .. وقلت له إننى لا أهتم بمثل هذه الأشياء .. وإننى مخطوبة .

وأخذت أعبث بالمنفضة التى فوق مكتبى لحظة ثم قلت :

– هل يلبس الدكتور قبعة ؟.

وبدت عليها الدهشة شيئا ما إزاء سؤالى هذا وقالت :

– لماذا ؟.. كلا لا أظن ذلك .. على كل حال لا أظن أننى رأيته يلبس قبعة .

وعندما خرجت جاء بروكسل وقال :

– هل اكتشفت شيئا ؟.

– ربما .. ماذا تعرف عن تارموند فريزر ؟.

– إنه يعمل فى بناء العمارات ، ويبدو أنه ناجح فى عمله هذا ، لأنه يقيم فى حى راق ، وقد تزوج منذ ثلاث سنوات لأول مرة ، وكان فى الخامسة والأربعين من عمره تقريبا .

مضيت إلى مطعم لاكو لكى أتناول الغداء ، وجلست أمام مائدة بالشرفة التى تطل على القاعة ، وكان فى الاستطاعة أن أري من فيها من غير أن يرانى أحد .

وبعد عشرين دقيقة جاءت زوجتى وفيليب تومبسون ، وجلسا إلى مائدتهما المفضلة ، وتقع تحتى مباشرة وطلبا كأسين من الكوكتيل وتشابكت أيديهما وراحا يبتسمان ، وعندما ضحكا تساءلت إن كانا يضحكان على وعندما انصرفا فى الساعة الواحدة والربع دفعت حسابى ومضيت إلى عمارة الأطباء مباشرة .

كان الدكتور جافن رجلا طويل القامة له يدان ضخمتان ، يكسوهما الشعر ، ولا ينظر إليك وهو يتكلم وأدخلنى إلى عيادته وأغلق الباب خلفى وقال :

- ماذا أستطيع أن أودى لك أيها الملازم ؟.

- هل تعرف تارموند فريزر ؟..

- أهو الرجل الذى قتل هنا أمس ..؟ كلا إننى لا أعرفه ..

- ألم يكن من عملائك ؟ ..

- كلا ..

- فى أية ساعة وصلت إلى مكتبك مساء أمس ؟..

- فى نحو السابعة والنصف ..

رددت البصر حولى فى الغرفة .. لم يكن بها علاقة ولا قبعة ..

وأشرت إلى الباب الذى إلى اليمين وقلت :

- هل يفضى هذا الباب إلى البسطة ؟.

بدا على الطبيب أنه يتصبب عرقا وأجاب :

– نعم ..ولكننى لا أستخدمه إلا فيما ندر فإن من عادتى أن أدخل من باب غرفة الانتظار ، لأننى أحب أن أرى إذا كان هناك من ينتظرنى ، فهناك مرضى يأتون أحيانا قبل موعدهم ،ولا أحب أن أدعهم ينتظرون بلا داع ..

– هل تصل دائما فى السابعة والنصف ..؟ سمعت أن مستر هويل كان على موعد معك فى السابعة والربع .. مر بيده على ياقة معطفه الأبيض وقال :

– إننى أحاول أن أصل فى السابعة فى بعض الأحيان ، ولكننى توقفت أمس لكى أتناول فنجانى القهوة وشطيرة فى إحدى الحانات التى تقع فى آخر الشارع .

– وعندما وصلت ألم تسمع السرينات ؟ ألم يدهشك هذا الأمر ؟..

إننى سمعت السيرينات طبعا ولكن توجد فى الحى مستشفيات كثيرة ،وقد اعتدنا سماعها .

– ألم تلاحظ القوم الذين تجمعوا ؟..

إنني أتيت من شارع ويلز ولم أر شيئا غير عادى ، وصعدت فورا وعندما وصلت هنا رأيت مس نيفنس ومستر هويل منحنيين أمام النافذة.

وخطر لى أن أسأله عن القبعة ، ولكننى رأيت أن أؤجل ذلك إلى ما بعد ، فنهضت واستأذنت في الأنصراف وهبطت فى المصعد ، وكانت هناك صيدلية على مقربة فدخلتها .. وكان يبدو أن من المعقول جدا أن يختلف إليه ٩٠٪ من المرضى الذين يأتون لاستشارة أطباء العمارة ليتزودوا بأدويتهم منها ..

وطلبت مقابلة المدير ، وأخرجت له شارتى قائلا :

– أحب أن ألقى نظرة على الدفتر الذى تسجل فيه تذاكر الأطباء .

أخرج سجلا ضخما وهو يقول :

– عن أى شئ يجب أن أبحث ؟..

– عن اسم تريزا ..

وكنت قد فرغت من تدخين سيجارتين عندما قال :

– ها هو الاسم ، صرفت دواء للأذن ، هل تريد التاريخ ؟..

– من الذى كتب التذكرة ؟..

– الدكتور جافن .. إن له عيادة فى الطابق الخامس ..

وألقى نظرة إلى السجل وقال :

– وقد صرفت لها هذه التذكرة منذ أربعة شهور تقريبا .

أخرجت السيجارة من فمى وقلت :

– لها ؟..

هز رأسه موافقا وقال :

– نعم .. لمسز هيلين فريزر .

وكنت أمر أمام كشك التليفون بالبهو عندما تذكرت شيئا آخر ، فطلبت زوجتى وعندما ردت قلت لها :

– مافيس .. إن بعض الأصدقاء بادارة البوليس دعونى للصيد معهم فى

عطلة نهاية الأسبوع .

ساد صمت قصير قطعته بأن سألتنى قائلة :

ومتى ترحل ؟.

- سنلتقى جميعا عند الملازم أوبريان فى نحو التاسعة ..

- ومتى تعود ؟.

- يوم الأحد على الأكثر ، هل أنت واثقة أن رحيلى لا يضايقك ، ألن تثقل عليك الوحدة ..

وتساءلت إن كانت تبتسم .. وأجابت :

- كلا لن أشعر بأى ضيق ...وربما ذهبت لزيارة بعض صديقاتى .

وبحثت فى دفتر التليفون عن عنوان نارموند فريزر ومضيت إليه ..

كانت هليين فريزر ذات عينين خضروايْن وابتسامة متشككة ، وكان يبدو أن موت زوجها لم يكن بالصدمة العنيفة لها وقالت :

- تفضل بالجلوس أيها الملازم ؟.. هل تشرب شيئًا .

- كلا شكرا ، هل تستطيعين أن تقولى لى من هو الطبيب الذى كان يعالج زوجك .

- هو الدكتور برادفورد وعيادته فى عمارة ستانلى .

- هل حدث أن ألتقى زوجك بالدكتور جافن ؟.

قالت وقد ارتسم التردد فى عينيها :

- إنه لم ينطق باسمه أبدا ، ولم أسمع أنا به من قبل .

وكنت أعرف أنها تكذب ولكننى لم أقل شيئا ..

– هل تعرفين لماذا ذهب زوجك إلى عمارة الأطباء ؟..

– كلا ..

– هل كان مريضا ؟.. أو هل كان مكتئبا ؟..

أخذت سيجارة من صندوق فوق المنضدة وقالت :

– كلا على ما أعلم .

– هل تعرفين سببا يحدوه إلى الأنتحار .

– وهل كان ذلك انتحارا ؟.

– لا ندرى بعد .

– وإذا لم يكن أنتحارا .

– لعله حادث وقع قضاء وقدر ، أننا ندرس القضية من جميع الأحتمالات .

نظرت إلى فى اهتمام ، وخيل إلى أننى لو لم أكن أقوم بالتحقيق فى مصرع زوجها لازدادت أقترابا منى .

– هل كان لزوجك وثيقة على الحياة ؟..

ابتسمت فى حذر وقالت :

– لم تكن بأكثر من خمسين ألف دولار ، كان هو يساوى أكثر من ذلك بكثير ..

نهضت وقلت :

– قد أعود فيما بعد .

قالت وهى لا تزال تبتسم :

– طبعا .

وفى قسم البوليس جاء بروكس إلى مكتبى وقال :

– أمازلت مصمما على المجيئ معنا الليلة أم أن هذه القضية سترغمك على البقاء فى المدينة ؟.

قلت :

– أستطيع أن أؤجلها يومين فلا أظن أن أحدا سوف يهرب .

– هل يجب أن أتى إلى بيتك لاصطحابى ؟.

– كلا ، إنها مسافة كبيرة بالنسبة لك ، سأستقل سيارتى فى المجيئ إليك ، سأتركها فى الجاراج الخاص بك حتى عودتى .

ولكننى تساءلت إن كنت سأراه الليلة حقا ، كان كل شئ رهنا بما سوف يقع أو بما قد لا يقع .

وبقيت بقية اليوم فى مكتبى أكتب تقريرى عن موت فريزر ، أعنى النقاط التى أعرفها ، والأخرى التى يجب أن أتحقق منها ظننت أن الأمور قد وقعت هكذا :

كان الدكتور جافن على علاقة غرامية بزوجة فريزر ، وقد علم فريزر بذلك وذهب إلى عيادة جافن قبل أن يصل هويل أو السكرتيرة ، وكان الدكتور وحده ، وتبادل الرجلان بعض عبارات التهديد ، ولم يلبث أن نشب بينهما

شجار قتل جافن فريزر أثناءه ..

ووجد جافن نفسه أما مشكلة عندئذ ، فكيف يتخلص من جثة فريزر لم يكن يستطيع أن يحملها إلى البسطة ، فقد كان يخشى أن يراه أحد خاصة وأنه كان يتوقع قدوم مس نيفنس من لحظة لأخرى .

وإذا كانت الجريمة قد وقعت فى غرفة الانتظار فإنه يكون قد جر الجثة إلى غرفة الكشف ، وأغلق الباب بالمفتاح ، ولم يلبث أن سمع هويل وهو يدخل غرفة الانتظار ، وبعده بقليل مس نيفنس ، وبذلك وجد نفسه محصورا فى عيادته مع جثة فريزر ..

هل يجب أن يغادر عيادته ، وأن يتكلم فى التليفون من الخارج ، هل يجب أن يقول لمس نيفنس أنه لن يأتى الليلة ؟ وأن تلغى ما لديه من مواعيد ؟ هل يجب أن يعود فيما بعد ، فى ساعات الصباح الأولى ، ويحاول التخلص من الجثة قبل أن يأتى أحد .

ولكن لعله تذكر عندئذ خادمات النظافة بالعمارة فقد كان معهن كل مفاتيح المكاتب ، وقد تكتشف أحداهن الجثة قبل أن يعود لكى يتخلص منها ..

الا يجب أن يلقى بالجثة من النافذة بكل بساطة ، ولكن سوف يكتشف البوليس من أية نافذة وقعت وسوف يستجوبونه وسيكتشفون عندئذ علاقته بزوجة فريزر ، وخطرت له الفكرة فجأة ، كانت أمامه وسيله يحمل بها الجميع على الاعتقاد بأن الرجل وقع من السطح .

وابتسمت .. ولكن ما هى الخطة ؟.. فكرت لحظة ثم رأيت أن أترك كل ذلك إلى ما بعد .

لقد دبر جافن السقطة ، ثم غادر مكتبه من الباب المؤدى إلى البسطة بكل هدوء ، وابتعد الوقت الكافى حتى سمع السيرينات ، ثم عاد ورأى هويل ومس نيفنس يطلان من النافذة ، ولكنه رأى فى نفس الوقت قبعة فريزر على الشماعة .

وفحصت احتمالات أخرى كثيرة ، هل اتفق جافن ومسز فريزر على قتل الرجل ؟.. بدا لى ذلك بعيد الاحتمال ، لأنه لو صح لما وقع اختيارهما على عيادة جافن .

هل أبلغ الطبيب زوجة فريزر بما وقع ؟.. ربما ولكنها لن تذهب لكى تخبر البوليس بذلك طبعا ، والظاهر أن موت زوجها لم يهمها فى شئ ، خاصة وأن هناك وثيقة التأمين ، وما قد يكون تركه وراءه من أموال وإذا هى ذهبت إلى البوليس فسيعرف الجميع علاقتهما بجارفن ، وهى لم تكن تريد أن يقع هذا .

ونظرت إلى ساعتى ثم جمعت أوراقى ووضعتها فى درج المكتب وأغلقته بالمفتاح .

ونظرت مافيس إلى فى ذلك المساء وأنا أحزم حقيبتى وقالت :

– ألن تلبس ثياب الصيد ؟..

– يجب أن أذهب إلى المكتب أولا لكى أوقع على بعض الأوراق سأستبدل ثيابى فى مسكن أوبريان .

وأخذت حقيبتى وبندقيتى وقلت :

– إلى اللقاء يا حبيبتى .

وأوشكت أن تهز كتفيها وهى تقول :

- استمتع بوقتك .

ووضعت الحقيبة فى الصندوق الخلفى للسيارة وابتعدت حتى بلغت نصف الشارع ، ثم درت بالعربة وأوقفتها وانتظرت .

وبعد نصف ساعة أقبلت سيارة فيليب تومبسون ووقفت أمام مسكنى ولا ريب أن مافيس كانت تنتظره ، لأنها خرجت على الفور ومعها حقيبة سفر صغيرة .

وتبعتها خلال المدينة حتى الحى الشرقى من الناحية الأخرى للنهر ، وكانت البيوت فيه قذرة ضعيفة الأنوار ، ووقفت سيارتهما فى موقف خلف فندق قديم مبنى بالطوب الأحمر .

وأشعلت سيجارة ودخنتها ثم أخرى ، وأخرجت مسدسى من جيبى وكانت فيه رصاصتان وكانتا تكفيان .. هذا إذا لم أشا أن استخدم رصاصة أخرى لكى أنتحر .. لم أدر ماذا أفعل .

ومضيت إلى الفندق ودخلت البهو ، كانت تفوح منه رائحة العرق ، ولم أجد أحدا بمكتب الاستقبال ، ولاريب أن الحارس الليلى قد ذهب لكى يشرب فنجانا من القهوة ، ونظرت إلى السجل فوجدت أنهما سجلا نفسيهما على أنهما مستر ومسز شارل سوانسون ، وأنهما نزلا بالغرفة رقم ٤٠٦ .

والقيت نظرة إلى الساعة القديمة المعلقة إلى الحائط .. كانت تشير إلى الثامنة والنصف تقريبا ، فمضيت إلى المصعد ولكننى لم ألبث أن توقفت ونظرت إلى الساعة لحظة ثم ابتسمت .

نظرت إلى لوحة المفاتيح ، كان مفتاح الغرفة ٤٠٦ ، غير موجود ولكن مفتاح الغرفة رقم ٤٠٨ كان معلقا ، ومن طريقة ترقيم غرف الفنادق كان يجب أن تكون تلك الغرفة مجاورة للغرفة رقم ٤٠٦ ، ودرت بالمكتب لكى أخذ المفتاح رقم ٤٠٨ ، ولكننى لم ألبث أن رجعت عن ذلك فقد يتذكر أحدهم أن المفتاح لم يكن موجودا ، وفتشت فى أدراج المكتب حتى وجدت بعض المفاتيح ومن بينها مفتاح عليه بطاقة تحمل ٤٠٨ ، فأخذته ومشيت إلى السويتش وطلبت رقم ٤٠٦ .

وعندما رد على فيليب تومبسون غيرت صوتى وقلت :

– هالو شارلى .. أنا فريد ..

– فريد ؟..

– طبعا ، هل نسيت بار سبورتمان فى توليدو ؟

قال تومبسون فى غضب

– اسمع يا هذا إننى لم أسمع عنك أبدا ، ولم أذهب إلى توليدو على الاطلاق إنك أخطأت فى الرقم .

قلت :

– اسمع يا شارلى ، لا تفعل هذا بى لا تفعل هذا بزميل قديم ، سأصعد على الفور ومعى زجاجة .

قاطعنى تومبسون فى حدة :

– انتظر أين أنت ؟..

– فى البهو .

نطق تومبسون بسببه وقال :

– أنني سأهبط على الفور .

ومضيت إلى المصعد ، وصعدت إلى الطابق الرابع ، وعندما فتحت الباب كان تومبسون قد بلغه بالذات ، وكان مقطب الجبين ، ولكنه ما أن رآني ورأى مسدسي في يدي حتى اتسعت عيناه ، واستحال وجهه إلى اللون الأبيض وقال :

– انتظر لحظة يا مايك .

قلت :

– صه استدر وتقدم حتى رقم ٤٠٨ ولا تنطق بكلمة ومشى في بطء ، وهو ينظر من فوق كتفه في خوف .

وتبعته حتى الغرفة رقم ٤٠٨ وفتحت الباب وقلت :

– ادخل ، ثم أغلقت الباب خلفنا .

وأسرع يقول :

– مايك .. أستطيع أن أفسر لك ..لا يمكن أن عدت أقول :

– صه .. استدر ووجهك إلى الحائط ..

أطاعني وهو يقول :

– مايك

أمسكت بمسدسي من فوهته وضربته على مؤخرة رأسه ، وأمسكت به قبل أن يقع ، ومددته فوق الأرض في صمت .

ومضيت إلى النافذة ، واستعنت بمنديلى لكى أفتحها، واستطعت أن أري حركه المرور الخفيفة من تحتى ، وانحنيت ونظرت إلى يسارى كانت النافذة رقم ٤٠٦ مضاءة ،وهى نافذة الغرفة التى تنتظر فيها مافيس عودة تومبسون ..

وأطفأت النور فى غرفتى ، وجررت تومبسون حتى النافذة ، وقد عقدت العزم على أن أتخلص منها الآن بنفس الطريقة التى تخلص بها الدكتور جافن من جثة فريزر ..

حملت تومبسون فوق متكأ النافذة ، وثبت قدمى بأرض الغرفة ثم طوحت بجسده إلى الخارج ، وأنا أمسكه من قدميه فى قوة ، ورحت أهزه فى بطء من اليمين إلى الشمال تماما كما يفعل رقاص ساعة الحائط ، وعندما رأيت أنه أصبح فى الوضع المناسب ، وأن قطر الدائرة سيجعله يقع تحت النافذة المجاورة تقريبا أفلته من يدى .

ورأيته يقع ويتحطم ، ثم أغلقت النافذة ، وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب بالمفتاح ، ثم هبطت من سلم الخدم ، وعندما بلغت سيارتى سمعت صوت السرينات من بعيد ومضيت عندئذ إلى بيت أوبريان .

بعد ما يقرب من ثمانية شهور التقيت صدفة بالدكتور جافن فى إحدى الحانات وحيا كل منا الآخر ، وطلبت كأسين من الويسكى .

وهز كأسه وهو يقول :

– أليس هناك جديد فى قضية تارموند فريزر ؟.

– ألا تعرف إذا كان قد وقع قضاء وقدرا أو إذا كان .

وتردد لحظة ثم أردف :

– أو إذا كان قد قتل ؟ .

ابتسمت في هدوء وقلت :

– لا أريد أن أهدم ثقتك في كفاءة البوليس ومقدرته ، ولكن هناك قضايا يتعذرعلينا أن نجلو غوامضها .

وجاءني الساقي بكأس فأعطاه الدكتور ورقة مالية وهو يقول :

– هذه على حسابي ..

ورحت أحتسي كأسي في بطء ، نعم كان في مقدوري أن أجلو قضية فريزر ، وأن أرسل جافن إلى السجن ، ولكنني إذا فعلت ذلك فقد يدفع الفضول البعض ويتساءلون ما الذي وقع لفيليب تومبسون حقا ..

ولهذا السبب بالذات غيرت تقريري فلم أشر فيه إلى قبعة فريزر ، أو إلى أن الدكتور جافن ومسز فريزر كانا متعارفين ، وكان تقريري هذا هو السبب في حفظ القضية ، وتنحنح جافن وقال :

– وبهذه المناسبة .. قرأت في الجرائد ما حدث لزوجتك ، هل تعتقد حقا أنها ألقت بتومبسون من النافذة .

حاولت أن أبدو طبيعيا وأنا أقول :

– كلا طبعا ..

– ولكن بصماتها كانت على متكأ النافذة .

قلت :

– إنها سمعت صوت السرينات ، كان من الطبيعى أن تمضى إلي النافذة وتفتحها وتنظر إلى الخارج .

– ولكن إذا لم تكن هى التى ألقته من النافذة ، وإذا لم يكن قد قفز منها وهى تعترف بذلك ، فما الذى تعتقد أنه حدث حقا ؟..

قلت :

– لا أدرى ، ولكن هيئة المحلفين اعتقدت أنها جريمة قتل ..

ألقى نظرة إلى صورتى فى المرآة وقال :

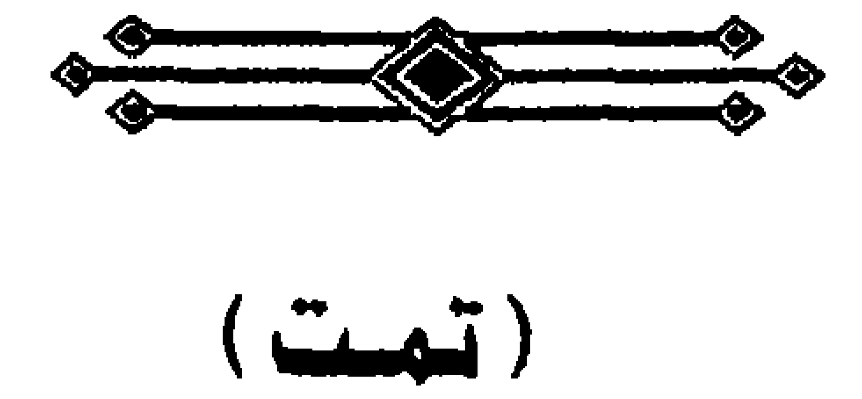
– أعجبنى مساندتك لها طوال نظر القضية أعنى بالنظر إلى الظروف فهى قد كانت مع رجل .

وأمسك ، ونظر إلى الساقى وهو يخرج كوكتيلا ثم استطرد :

– إن عشرين سنة فى السجن مدة طويلة ، خصوصا بالنسبة لامرأة وعندما تخرج تكون قد ضاعت حياتها .. هل تذهب لزيارتها أحيانا أيام الزيارة .

قلت :

– نعم مرة فى الشهر وإننى أستمتع بكل دقيقة أقضيها معها .



(تمت)



سلسلة
روائع القصص البوليسية
هتشوك
★ الياقوتة
★ الأنتحار
★ السفاح
★ المقبرة
★ ذو الوجهين
★ مسرح العرائس
★ الميت الحى
★ اليوم المشئوم
★ اليد المقطوعة
★ رصاصة فى الظلام
مكتبة معروف
الإسكندرية ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية
بالمملكة العربية السعودية
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض